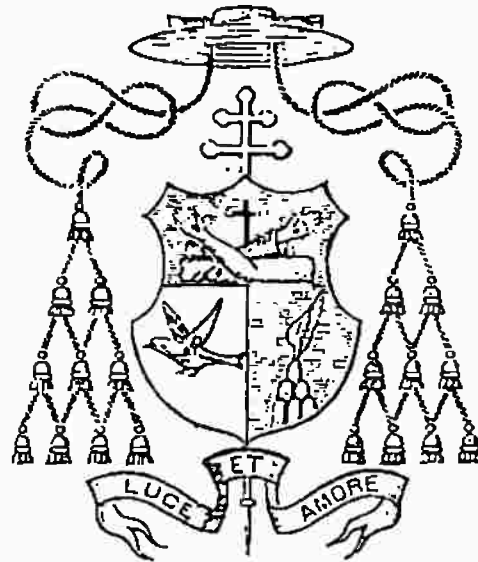


المشرق



رسالة رعائية في الحكومة الدستورية

لبادة القاصد الرسولي

الاخ فريديانو جيانيني

والنائب الرسولي على حلب والقاصد الرسولي على سورية
الى اعزائنا الاكليروس والشعب اللاتيني في نيابتنا الرسولية سلام وطأينة وعزاء بالرب
ايها الاخوة الاعزاء

ان الحوادث الجارية بسرمة غريبة على مرأى منا توجب علينا ان نوجه كلمة
صادقة مخلصه الى اعواننا الامراء وابنائنا الاحباء في هذه النيابة الرسولية
قد يكون من يزعم ان صفة هذه الحوادث السياسية الداخلية لا تترفع لاجبي

السنة الحادية عشرة العدد ١٠

مثلنا ان يطرق باب البحث فيها اذ ان الدول الاوربية الكبرى نفسها قد نظرت
بمعين الدهشة والاعجاب الى هذا الانقلاب السريع الذي جرى في السلطنة العثمانية
وارتأت وجوب المدول اقله الان عن كل مداخلة في شؤون تركيا الداخلية ولزوم
موقف الانتظار الولا في تجاه المساعي التي تبذلها في سبيل نهضتها الوطنية. اما يكون
الاجدر بنا ان نخذو نحن ايضاً هذا الحذر ونتمسك بمنجطة التحفظ والرصانة التي
نهجتها الدول الكبرى ؟

وبالحقيقة ان ليس من قصدنا التداخل بمجراث السلطنة السياسية الحاضرة
فاننا قد تجنبنا ذلك منذ البدء ووطنا العزم على لزوم هذه الحطة في المستقبل ايضاً
واننا لنأنف من سلب الشعوب الوطنية فخرها في سعيها بنفسها وبمعزل عن كل
مداخلة خارجية في احياء وطنها

وفضلاً عن ذلك ان وظيفة نيابتنا الرسولية هي من طبعها روحية بجته وتحظر
علينا الخوض في غمرات المنافسات السياسية التي تختص طبعا بالنظام المادي. فن
واجباتنا نحن ان نصرف الهمة الى خلاص النفوس الابدي ونذع لغيرنا العناية بامور
السلطنة السياسية والاهتمام بدعة وغبطة الشعوب الزمنية. يروى عن الخليفة الشهيد
الملك الكامل انه اراد يوماً ان يتحف مؤسس الرهبانية السيرافية بهدايا ثمينة من ذهب
وفضة فأجابه الفقير فرنسيس: «اني لم آت الشرق سعيّاً وراء الحيرات المادية بل
اغما اتيت به رغبة في خلاص النفوس» ونحن نفتخر باننا نقفني آثار ابينا العظيم بتضحية
قوانا في هذه البلاد جاً بالنفوس الموكولة الى عنايتنا وسعيّاً في سبيل خيرها الروحي

غير اننا نرى ان هذا لا يصدنا عن الاهتمام ايضاً بتجالح البلاد المادي لاننا وان
كنا اجانب نظراً لاصلنا فلسنا باجانب نظراً لمحبتنا لهذه البلاد التي اعتبرناها
كوطننا الثاني مذ شاء قداسة الحبر الاعظم ان ينفذنا اليها لنشله في خدمة النفوس
ولهذا لا يسوغ لاحد ان يعوّب الينا سهام اللرم اذا ما اعلنا صادق استجناننا للنهضة
الوطنية في السلطنة العثمانية وتوسلنا الى الله ليبارك وينجح المساعي المشكورة التي يبذلها
بنية صالحة مخلصه وغاية مستقيمة حميدة اولئك الذين يسمون وراء هذه الغاية النبيلة

ومن جهة اخرى زتني بصواب انه لما كنا مكلفين بامر النفوس كان من واجباتنا ان نسمع صوتنا في الوقت الحاضر لانه يندر ان لم تقل يمنع حدوث انقلاب سياسي وان شريعاً دون ان يصدر عنه بعض الاضطراب الادبي الكثير الخطر للنفوس. والحال في ذلك حال المطر بعد القيقط الطويل فالتاس يرحونه ويتوقفونه لاهياء للارض الظمآنة وارواء قليل الحيوانات العطشانة غير ان الماء حينذاك قلما تسكب مطرها رذاذاً بل تهطله مدراراً معصوباً بقذف الصوامق الثقالة وهبوب الارباع العاصفة الشديدة التي تجتاح مع الاغصان اليابسة المضرة النباتات الخضراء اليافعة ذات الثمار اليافعة . وهكذا شأن الانقلابات السياسية حتى الشريعة منها فانها تتحول بسهولة الى مضرة الاشخاص والنظامات المقدسة اذا تخطت حدود العدالة واللياقة لانها تصرف اذ ذاك كثيراً من النفوس الحرة عن الطريق القوية فيميل بها عمداً او سهواً فتعذب مع كل ربيع تعليم كقول الرسول (افسر : ١١) وذلك لما تعمل في رؤوس القوم نشوة الحرية التي لم يمهدها من قبل وينفج الجبال في الحطب والصحف للتعالم والمبادئ القريبة التي لم يتربح ذووها فيها الا ميل الجمهور

فمن كان مكلفاً بامر النفوس لا يمكنه ان يقف وقفة التجرد تجاه هذه الاخطار والا عرض نفسه لان يهتف يوماً متأسفاً مع نبي اسرائيل : « ويل لي لاني سكت » (اشعيا ٦ : ٥) وتعلمون قصة عالي حبر الشعب المختار وقاضيه الذي مع علمه بفساد ولديه وبالاخطار التي تتهدد بيته والامة جمعاً من جزاء ذلك لم يحجر ان يخاطبهم بكلمة تنبيه او تحذير ولهذا انزل الله به العتاب الشديد فقي يوم واحد اُخبر بانتهزام شعبه من امام العدو يقتل ولديه ولدى سماعه ذلك سقط على الارض ومات للعالم وذهب ليعطي حساباً امام منبر الله عن تهاونه الاثيم

لا ايها الابناء الاعزاء لا نستطيع السكوت ولا نرضاه بل نخفي فرحين ومبتهجين اشعة الحرية التي سطعت في هذه البلاد وزفج الادعية الحارة ملتسين النهضة الحقيقية الراحنة لوطننا هذا الثاني الكثير الاعزاز لدينا سواء كان لجهة ماضيه او لجهة ما

نوجه منه في المستقبل. وما يوطد فينا هذا الرجاء ما شاهدناه من الاتفاق العجيب الذي أبرمت موائيقه بنوع غير منتظر بين السلطان والشعب ثم ما كان من بث شوارع الاخاء التي تبادلها كل سكان السلطنة دون فرق في الجنس والمذهب واخيراً حدوث هذا الانقلاب بالهدوء والسكينة دون اضطراب ولا اراقة دم كما جرى في انقلابات الامم الاخرى السياسية وكان لها وصة عار موبد. لكن رجاءنا لا يخلو من الخوف لان من يجب يخاف دائماً ونحن نحبكم ايها الابناء الاعزاء. ولهذا لا نطعن لحرفنا عليكم ونشمر بجاجة ماسة الى ان نوجه اليكم كلمة مخلصة صادقة لنهيج لكم سبيلاً تسيرون فيه حفظاً لنفوسكم من اخطار الزمن الحاضر

واولاً نريد ان تعلموا العلم اليقين وتعتقدوا ان الكنيسة في تعليمها لا تؤثر ولا تفضل هيئة من هيئات الحكومات المتشعبة على الاخرى. فالكنيسة الكاثوليكية تحترم وتأمركل ابنائها ان يحترموا ويطيعوا السلطة الزمنية التي تعمل على خير الشعب الحقيقي ولا فرق عندها في ان تكون هذه السلطة بهيئة امارة او جمهورية او ملكية مقيدة او مطلقة. هذا ما علمه السعيد الذكر الحبر الاعظم لاون الثالث عشر برسالة العامة (Immortale Dei) بتاريخ ١ ت ٢ سنة ١٨٨٥ قبعد ان بسط بحكمة سامية مبادئ الفلسفة المسيحية الاساسية المتعلقة بتنظيم الحكومات صرح بان لا هاته المبادئ ولا التوائين المتصلة عنها « تسوغ رفض هيئة اية كانت من هيئات الحكومات المتنوعة لان ليس في هذه الهيئات ما يناقض التعليم الكاثوليكي ولانها اذا استعملت بالحكمة والعدالة امكنها ان تضمن النجاح العام »

لا يمكن ان تكون طريقة الحكم واحدة عند كل الشعوب وذلك لما بين الامم من تنوع الاجناس واختلاف العادات والتقاليد التي تقضي بايثار هيئة من هيئات الحكومات على غيرها

ان طريقة التعصب والثورة البالغة حد الافراط في الظلم والاستبداد وان تسرت وراء حجب الحرية انكاذبة هي وحدها تعمل على الزام الشعب بحكومة معينة

دون مراعاة اخلاقه وتاريخه وعاداته الجدية بالاعتبار اما الكنيسة الكاثوليكية فترذل وتمت هذا الظلم لانها وان كان لديها مبادئها في حسن اداة الهيئة المدنية فهي تعلمنا بنهم لاون الثالث عشر عنه « ان المبادئ تنجسها في الحوادث تتخذ شكلاً عرضياً مخصوصاً بالمكان الذي تطبقت فيه وبمبادرة اخرى انه وان كانت كل هيئة من الهيئات السياسية حنة بذاتها ويمكن استخدامها لادارة شؤون الشعوب فمع ذلك لا توجد عملياً الهيئة الواحدة نفسها عند كل الشعوب بل ان لكل شعب حكومة بهيئة خاصة وهذه الهيئة تتأق من مجموع الظروف التاريخية او الوطنية البشرية التي تعطي الامة شرائعها التقليدية حتى والاساسية وبهذه تتمين هيئة الحكومة الخاصة » (لاون الثالث عشر في رسالته الى الكليروس فرنسة ١٦ شباط ١٨٩٢)

وعلاوة على ذلك يمكن للشعب الواحد في مراقبت مختلفة ان ينتقل حسب الظروف من هيئة سياسية الى غيرها اذا اقتضى ذلك الصالح العام. لان حياة الشعوب من هذا القبيل تشبه حياة الافراد فالولد في صغره يكون بوصاية والديه وتحت ادارتها وتديبرها وخاضعاً لها في كل شيء. ليجزه عن ان ينتقل بنفسه من محل الى آخر. لكنه كلما تقدم في السن أنس من نفسه الاستطاعة على القيام بمجاراته ومن ثم يضعف اقتناره الى والديه رويداً رويداً. ثم متى بلغ اشده وجنى الحكمة ثمرة الاختبار تيسر له القيام بنفسه باعباء الاعمال والاستقلال بها وكان ذلك مدعاة لفرح وغبطة والديه انفسها. هكذا حال الامم فان لزمها عند نشأتها وفي اول عهدها حكومة مطلقة فلا ينتج عن ذلك انها لا تستطيع عند استيفائها حظها من البلوغ ان تتوق وتسى الى حكومة حرة تمهّد سبيل الرقي والنجاح لقواها ومنازعتها الخاصة ولهذا صرح لاون الثالث عشر في رسالته (Immortale Dei) المذكورة اعلاه بأنه « ان لوحظ الامر بذاته لا يمكن ان ينكر على الشعب حتى تدخل بتنظيم الحكومة بل ان هذا التدخل عنه قد يكون في بعض الظروف ومع بعض الشرائع مفيداً للكان بل وفرضاً واجباً عليهم ايضاً »

ان ما يولي الامة خيراً او يضرها ضيراً ليس يحصر القول هيئة الحكومة بل

هو سلوك القابضين على ازمة الاحكام وبالاخرى الشرائع التي يستونها للشعب « من بين الشرائع والسلطة السياسية وهيئتها لبرناً عظيماً فقد يحدث ان تكون الشرائع جائزة ممقوقة في حكومة منظمة على احسن هيئة وبالعكس يمكن لحكومة ذات هيئة غير كاملة ان تكون شرائعها في غاية الجودة... لان الشرائع ليست الا عمل الناس القلدين السلطة والتولين فضلاً اداة شؤون الامة. وعليه تكون حالة الشرائع اوفر تعلقاً بحالة هؤلاء الناس منها بهيئة الحكومة اي انها تكون حسنة او رديئة حسبما يكون الشترعون من ذوي المبادئ الصحيحة الصالحة او الشريرة الفاسدة ومن المتدبرين بالحكمة السياسية او من المتقادين الى الامراء » (لاون الثالث عشر الى اكليروس فرنسة ١٦ شباط ١٨٩٢)

وبناء على ذلك قد حقّ للكنيسة الكاثوليكية ان لا تؤثر هيئة من هيئات الحكومات على اخرى فهذه الخطة تسمح لها بان تعيش وتنمو في كل مكان وزمان وبان ترتبط بالملاقات الحسنة مع الحكومات المطلقة والدستورية والجمهورية على السواء. ونحن لا نحرم النائدة من خطة امنا الكنيسة التي تقف وقفة الحياء تجاه الهيئات المتروعة التي يمكن ان تأخذها حكومة البلاد التي تسكنها. تلك لعمر الحق حرية قيمة يروق لنا ان نستخدمها لترحب بهيئة الحكومة الجديدة التي تنظمت في تركيا بفضل ما تمّ من الاتفاق العجيب بين السلطان والشعب ولترفع الادعية لتكون الحكومة الجديدة فاتحة عصر جديد يبسط رواق السلم والتجّاح على شعوب السلطنة كلها

لكنه لكي لا يجيب رجاؤنا هذا ينبغي على المكلفين بتطبيق الاعمال على قواعد الدستور من وزراء واعيان ونواب ان يحرصوا على المبادئ الاساسية الموطدة للهيئة المدنية. لان الجور والظلم اعظم آفات السلم والتجّاح العام يمكنهما لسوء الحظ ان ينتشرا حتى في الحكومة الحرة وذلك اذا ما لاء ذوو الامر التصرف بالسلطة وخوّلوا دغائبهم الخاصة قوة الشرائع خلافاً لمبادئ العدالة. ان الله منشي الهيئة البشرية هو ايضاً مصدر السلطة العمومية كما قال الرسول: « لا سلطان الا من الله »

(رومية ١٣: ١) ولهذا مهما كانت هيئة النظام السياسي على الحكام ان يمثلوا الله دائماً امامهم ويقتدوا به ويتخذوه مثلاً سامياً وقاعدة لاعمالهم. وبالتالي عليهم ان ينصفوا في حكمهم مراعين الخير العام ومتدكرين على الدوام بان لاسطة للانسان على امثاله الا بمقدار ما يقتضيه الصالح العام (لادن الثالث عشر في رسالته Immortale Dei) واما ان اساوردا استعمال السلطة ولستخدامها للضغط على الشعب والتضييق عليه او على فئة صغيرة منه فان الله يناقشهم حساباً مدقّقاً عن ذلك لان « ارباب القوة بقوة يُفصحون » (الحكمة ٦: ٧)

ومن هذا كله يمكن لاءواننا الاعزاء ولابنائنا الاجباء في هذه الثيابة الرسولية ان يروا جلياً اننا وان رغبنا باخلاص بالحكومة الجديدة فلا نرتني مع ذلك ان هيئة حكومة جديدة مهما كانت حنة نكفي وحدها لتضمن للشعب السلام والتجاح. فان كل خير حقيقي محدد الجردة الجوهرية اي الله فيجب علينا ان نبتهل بجرارة الى سيد الالم والشوب الاعلى القابض بيده على قارب البشر ليتنازل ويمحو بنعمته الى خير الشعب هذا الانقلاب العجيب الذي جرى في حكومة السلطنة العثمانية بان يلهم الحكام الحب الحقيقي المخلص للخير العام

وليُسمح لنا هنا ان نبحث في الحكومة الجديدة من حيث الحرية التي تنعم بها على كل السكان

ان الحرية على ما حددها دانت اليفياري اشهر شعراء النصرانية هي اعظم منحة جادت بها العوارف الربانية على الانسان. لانه بها اصبح مساطراً على اعماله ممتازاً عن الاشياء. عالماً بحقوقه وواجباته قابلاً للسدح او للذم وللثواب او للعقاب وغشاً حاول الماديين في ايماننا ان يعودوا الى نشر الاضاليل القديمة ويسلبونا هذه الميزة والمنحة الشريفة. منحة الارادة الحرة التي قد أيدها الفاسفة المسيحية طبقاً لمبادئ الضير المعلوم بها

لكن شأن الحرية شأن سائر الاشياء. حتى خيرها واقدمها في انه يمكن التصرف

بها بحكمة او اساءة استعمالها بنوع يوسف له. وهذا ما حل لاون الثالث مشر على القول بصواب بانة « عن حسن او سوء فهم معنى الحرية تنتج اعظم الحريات او اكبر الشرور لان الانسان بقوة هذه الطبيعة الطبيعية الثبينة يمكنه ان يستدير بنور العقل المستقيم ويسل الخير الادبي ويسلك طريقاً تؤدي به الى غايته. كما انه يمكنه ايضاً لسوء الحظ ان ينهج خطة مفاكة اذ يُفتر بالخيرات الخداعة وظواهرها الكاذبة فيشوش النظام ويطوح بنفسه في هلاك اختياريه (الرسالة العامة في الحرية البشرية) ومن نكد الطالع ان قد انضم الى الاخطار الناجمة عن طبيعة الحرية نفسها سقطة ابونا الاولين التي جرحت ارادتنا جرحاً بليفاً كقول الجمع التريدنيتي بجعلها ميالة الى الشر. ولا ينكر ان مخلصنا الالهي السيد المسيح بتجديده الطبيعة البشرية واعادتها الى سابق منزلتها يشر ارادتنا بقوة مقاميل وساطته الالهية اذ يقويها بنعمته وبرجاء السعادة السامية على مقاومة الاميال الشريرة. لكن الفداء لم يلاش كل نتائج السقطة الاصلية ولهذا يحدث غالباً حتى اليوم بعد مرور تسعة عشر جيلاً على النصرانية ان الانسان لتأصل الاميال الشريرة في النفس البشرية يستخدم حريته لعمل الشر أكثر مما يستعملها لعمل الخير

وعن هذا نجت ضرورة سن الشرائع ووضع العقابات تهديداً لمن يخرقها. وهذه الشرائع منها الهية ومنها بشرية فالالهية ما صدرت عن الله مباشرة والبشرية ما اعلنتها السلطة الدينية او المدنية الشرعية

وهذه الشرائع التي ترمي الى صد الشر ومنه تخرج الحدود لحرقتنا ولا يحق لنا البتة ان نتظام من ذلك. لان حرية فعل الشرائع هي رذيلة وليست بجزء طبيعتنا وكبحها بلجم الشرائع يعد خدمة جليلة في جانب الافراد كما في جانب الهيئة الاجتماعية كلها. وما تقدم يتوضح ان السلطة المدنية التي خصصناها بالكلام هنا لما كانت غايتها تحويل الهيئة الاجتماعية حسن الحال المادي كان اقل ما تفعله بلوغاً الى هذه الغاية ان تسن الشرائع التي وان قسرت حريتنا وقيدتها فانما تفعل الخير الافراد والعموم ممّا وتوصل هكذا الى توكيد الراحة العمومية غايتها الوحيدة. لانه لا يمكن ثبات

الهيئة البشرية بدون سلطة وشرائع بل ان جنسنا بدونها يباد ولا محالة بفوضى هائلة. والسلطة العمومية مهما كانت هيئتها السياسية ومهما كانت درجتها من الحرية تضطر بقوة الاشياء الى ان تضع حداً لحرية الأفراد بواسطة الشرائع
 ورب قائل يقول: اذا ما معنى ما يردده القوم في المتبدلات والشوازع من ان شمس الحرية قد برغت في افق فواحينا اذا كانت الحكومة الجديدة التي تنظمت حديثاً في بلادنا لم تر لنا شيئاً من الحرية ؟

ايها الاعزاء ان الشريعة شيء واستبداد القابضين على اذمة السلطة العمومية شيء آخر . فالشريعة الحلقة تمن للخير العام وتقيدها للحرية لا يعد اساءة للانسان بل بالعكس مئة عهد له السبل الى بلوغ غايته بحفظه من مساوي الفوضى الجالبة للدمار. واما ارادة الحكام الذين هم كسائر الناس عرضة للزال واتباع الالهواء فانها لا تنطبق دائماً على القتل السليم بل ربما كانت احياناً جائزة ومماكمة للخير الخاص والعام . ومن ثم يكون الخضوع للشريعة ضماناً للخير العام وليس فيه ما يذل الانسان لكنه يشرفه ويضمن له استعمال الحرية المرتبة في كل ما لا يلحق ضرراً ولا اذية بالدواعي العمومية الحلقة . بيد ان الطاعة المطلقة العمياء لرغائب الحكام انما هي عبودية محضة تقضي على الحرية الشرعية وتهضم الحقوق وتدوس كرامة الطبيعة البشرية الجديدة بالاحترام

والحال ان الحكومة الجديدة تترع السلطة الاستبدادية من الحكام ولا تعترف الا بسلطة الشريعة القاضية بالمساواة بين الجميع ولهذا حق ان تدعى الحكومة الجديدة حكومة حرة لانها اذا ما استثنينا ما تأمر به الشريعة حفظاً للصالح العام تترك للقوم ملء الحرية في حركاتهم وسكناتهم والاعتناء بشؤونهم كما يرتوون وصرف همهم ومسايعهم الى ما يرون فيه الصلاح وبالنتيجة قد قامت حكومة حرة مقام الحكومة الاستبدادية ضمن نطاق الشريعة . واذا لاحظنا الامر من الوجهة السياسية رأينا انه لم يبق عبود ولا اسياذ بل مواطنون احرار متساوون امام الحكومة في الحقوق والواجبات مهما كانت رتبهم ومزجتهم في الهيئة الاجتماعية

قد حق لكم اذا ايها الابناء الاعزاء ان تفرحوا وتفتبطوا بآعلان الحكومة الجديدة التي سوت لكم ان تستعملوا في حدود اللياقة هذه العطية الطبيعية الثينة نعني بها الحرية

لكننا الحرية اسمعوا لنا بهذا التشبيه هي كالخمر التي ان اقتصد الانسان في شربها اولئ القوة والتشاط وان افراط اضرته واذنهُ. فالحكومة الدستورية الحرة تفرض في الشعب حصة الرأي ورضائه ومن ثم لا يمكنها حتى وفي بعض الاحيان لا يلزمها ان تثبت وتقطع كل شيء بسلطتها. لان الامر قد لا يكون من متعلقاتها ولان هذه الحطة تعرقل سير المساعي الافرازية العائدة بجزيل الفائدة على الصالح العام. ولهذا على الناس في مثل هذه الحكومة ان يدبروا شؤنهم بذواتهم في ظروف عديدة باستعمالهم الحرية استعمالاً معقولاً. واما ان عدلوا عن ذلك الى اساءة التصرف بالحرية فانهم يلحقون الضرر بنفوسهم وبالاخرين ايضاً. واذا تمادوا في اثاره القلاقل والاضطرابات عملوا على تفويض اركان الحكومة الجديدة واقامة القديمة مقامها ولا تكون تلك المرة الاولى التي مهتد بها التطرف بالحرية سبل العودة للاستبداد

ولا نطيل البحث هنا في كل ما تحول الحكومة الجديدة الاهلين من انواع الحرية كحرية الدين وحرية التعليم وحرية القول وحرية الصحافة. لانه اذا نظرنا في الامر نظراً علمياً ولاحتلنا احوال السلطنة العثمانية الخاصة لا يسعنا الا الابتهاج بمنح هذه الحريات لثقتنا بان اعراننا وابناء الاعزاء في هذه الثيابة الرسولية يستخدمونها كما يليق في سبيل مجد الله الاعظم وخلص النفوس وزيادة انتشار التمدن الحقيقي وغير الشعب العام

غير انه يتوّلنا بعض الخوف نظراً لحرية القول والصحافة فان التزم فيها جانب الاعتدال كما يخلق باناس حصيفي الراي ووطنيين جديرين بحكومة حرة كانت هذه الحرية ايضاً حصة النتائج جزيلة الفوائد لفسحها لنا مجالاً للجاهرة بالدفاع عن الحقيقة وخصوصاً عن حقائق ديانتنا المقدسة ولتنوير الحكومة بتبيينه خاطرها الى ما ينبغي ازالته من المساوي وما يقتضي احداه من الاصلاحات سعيّاً ورا. المداحة المعمومة

لكن كلامنا ليس من هذه بل عن تلك الحرية التي تنوي القول بسهولة وتدفها الى تجاوز الحدود في انتقاد الاشخاص والنظامات والى ايضاح ومرض افكار جائزة مغالى فيها ووغائب انتقامات شخصية وتشقيت ذميمة وذلك بنظواهر غيرة كاذبة على الخير العام

ان المسؤولية لعظيمة جداً على من كآف نفسه الاصلاح بواسطة الصحافة اذ انه ما من شيء اعظم منها تأثيراً في جمهور القراء وحملهم على الخير او الشر لان معظمهم لا يستطيع ان يوتني رأياً من نفسه ولهذا ترونهم مستمدين لقبول الاراء والبادئ الاشد فساداً سهولة تسربها اليهم. قد قال بعضهم^٩ ملحقاً الى الهيئة الاجتماعية الاردنية القديمة ان الصحافة العمومية وخصوصاً الجرائد هي في ايامنا بمثابة الفئة الرابعة من ممثلي الامة واما نحن فترتني انه في حكومة دستورية حقّة تكون الصحافة الفئة الاولى لانها هي التي تدرب الراي العام الوافر الحول والطول في العصر الحاضر

لهذا تحتم على الكاتب لزوم جانب الحكمة والفضيلة ليس فقط بان يتمتع عن نشر وتأيد بعض الاراء المهلكة التي اذا ما عرضت على العموم كانت بمثابة مشاعل متددة تطرح في مخزن بارود. بل عليه فرق ذلك ان يعتدل الاعتدال كله في انتقاد الاشخاص والنظامات ويعنى غاية جهده بالتفريق والتبميز بين هذه وتلك لتلا يتجنى بنسبه نقائص او ذنوب فريق الى الفريق الآخر. ومن بين النظامات عليه ان يحترم خاصة الدين اساس الهيئة المدنية الوحيد الذي ينبغي ان يظل محفوظ الكرامة ومميز الشأن دغماً عما يمكن وجوده لسوء الحظ من الامور الذميمة في سيرة الاكابر وس. ومن هذه الحيثية لا ينبغي التساهل في تصديق كل التهم التي لا تصدر غالباً عن حب الخير الجرد بل من رغبة من الدين نفسه بشخص خدامه

ثم ان النزعة القوية التي تتولى الكاتب اليوم على اثر طلوع فجر الحكومة الدستورية انما هي تزييع رجال الحكومة الماضية وتشديد النكير عليهم وما تلك الا نتيجة ضغط تقادم عهده يسهل ادراكها حتى والتسامح بها الى حد معلوم. لكنه

ما من احد الا يهتم بان التشفي بالساقطين ليس من شيم النفس الكريمة والتاريخ نفسه يروي لنا حيقاً قول البطل الفلورنسي بيروشيو مادامالدو : « قتل رجلًا ميتاً » ومن جهة اخرى ينبغي الاعتقاد بان الحكومة السابقة لم تغفل من رجال جديرين بالاعتبار لم يلحقوا اذية باحد وعلاوة على ذلك ان اللذين انفسهم لهم في الظروف ما يحثف جسامه ذنوبهم اذ ان معظمها تأتى عن المراكز التي تقلبوا فيها

واخيراً لا نحرض الكتبة قط بل وعموم ابنائنا الاعزاء. ايضاً في هذه النيابة الرسولية على ان لا يسيئوا استعمال الحرية الجديدة بانضمامهم الى الجمعيات السرية المزدولة من الدين والعقل السليم لانها تكبلهم بقيودها السرية وتحرمهم الحرية الحقيقية اعز الكنوز واثمتها. فان الرجل المرتبط بجمعية سرية ليس برجل بل انه عبد في قبضة رؤسائه وهو لا يشعر. وبما اننا الان في عصر الحرية ويتنى اعلان كل الاراء الصالحة الحرة ونيل كل الرغائب المحلة فما الغاية من كم هذه الجمعيات السرية امرها ؟ فلا فائدة ترجى من السر ان كانت غايتها حميدة . ولهذا بعد ما رى كل ما تبذله من العناية في سبل بقائها سرية يسرغ لنا الحكم بانها تنوي نيات منكرة يرذلها كل ذي فضل وصلاح . فالسيد المسيح قد اداد ان نكون ابنا. النور : « لتكونوا ابنا. النور » (يو ١٢ : ٣٦) انبذوا الظلمات اذاً . انبذوا اسرار الشيع المنكرة . لكم الحرية في ان تولدوا الشركات وتشكلوا الجمعيات للدفاع عن مصالحكم لكن فليكن ذلك ظاهراً وواضحاً للجميع كما يفعل الوطنيون الاحرار الذين لا يرون حاجة الى اخفاء اعمالهم وستر مقاصدهم . كونوا اذاً ابنا. النور وحينئذ تكون جمعياتكم التي نستطر عليها البركات الربانية من الان آتلة لتجاح وطنكم الارضي وتهد لكم السبل لنيل السعادة الابدية في الوطن الحامري

والان توجه كلامنا اليكم ايها الاعوان الاعزاء. والمرسلون الاحباء. في هذه النيابة الرسولية

اولاً نرغب اليكم ان تقرأوا وتشرحوا للشعب هذه الرسالة الرعاية وان تبذلوا

جهدكم في نشرها ليقف الجميع على افكارنا ورغائبنا في ما يتطرق بالحطة الواجب
اتخاذها تجاه الحكومة الجديدة التي تيمّنت بها السلطنة العثمانية
ان النظام الجديد يفسح امامنا مجالاً رحباً حراً لملئنا الانجيلي فلنستخدمة لمجد
الله وخلص النفوس

من عهد غير بعيد اي من تاريخ ١ آب للاضي اعظم قداسة ايننا البابا بيوس
العاشر فرصة يربله الكهنوتي الحسيني فوجه الى الاكليروس الكاثوليكي رسالة
تحريضية شائقة بيّن فيها قداسه بمثابة ابرية وحكمة رسولية الفضائل التي يجب
على خدمة المذبح ان يتحلّوا بها ليكنهم ان يتسموا بنوع لائق المهام الموكلة الى
عنايتهم . وقد جاءت هذه الرسالة الحبرية في غاية المناسبة للزمن الحاضر لتنمّش فينا
روح التقوى والغيرة وتصورنا فصلة قادرين على العمل في كرم الرب اذ توفر فينا كل
مقتضيات الازمنة الحديثة . فلنتعمم الفكرة اذاً في هذا الكلام السامي ذي القوة
المنيرة للعقل والمضرة للقلب

اننا نعرفكم حق المعرفة ايها الاعوان الاعزاء ولا نرى من حاجة الى زيادة
التحريض غير اننا نرى من الواجب علينا ان ننقل لكم بعض فقرات من الكلام
الذهبي الذي وجهه قداسة ايننا البابا بيوس العاشر منذ سنوات قليلة الى اكليروس
ايطاليا لما في هذا الكلام من المناسبة لهذه الانحاء . في الحوادث الحاضرة : ان الكاهن
المرتفع على سائر الناس لتتميم مهته التي تقلدها من الله عليه ان يترفع ايضاً عن كل
المصالح البشرية وكل التعزيبات وكل فئات الهيئة الاجتماعية . فيدان عمله الكنيسة حيث
هو سفير الله ونائبه يعلم الحقيقة وينذر بها ويعلم مع احترام حقوق الله احترام حقوق
كل المخلوقات وبمصلحة هذا لا يبرّض نفسه للمقاومة ولا يظهر انه متحزب يعضد
البعض ويناهض الاخرين . ولكي يتحاشى بعض الاميال والاغراض او لكي لا يثير
في مواضع عديدة الحواطر الساخطة ولا يتهور في خطر تبليس الحقيقة او كسها
ويقتصر في واجباته في كلتا الحالتين . فضلاً عن انه في البحث عن الامور المادية يمكنه
ان يتورط في الترامات مضرة بشخصه وبشرف درجته (رسالته بتاريخ ١١ حزيران

١٩٠٥) ونعم القول. لان الكاهن لما كان ملتزماً بخدمته نحو الناس قاطبة ودون استثناء. وجب عليه ان لا يكون ذا حزب بابتعاده وتروفه عن كل الاحزاب. وهذه هي الوسيلة الوحيدة لمنع انشاء الاحزاب المناهضة للاكليروس التي تتحول دائماً الى احزاب مناهضة للدين. ان منزلة الكهنوت في غاية الرفعة والشرف وانه لا يتم حقيقي ورزية جسيمة الحظ من شأنها وحصرها في حدود حزب ضيقة وبالتالي تزعج الكهنوت مسته السامية القائمة بالناية العامة الشاملة لكل الناس. فينبغي ان حجة المسيح الشاملة التي كانت تحت الرسول هي نفسها تضرع قلوبنا الكهنوتية وتحملنا على بسط ذراعينا لموم ابنائنا دون استثناء. وبقطع النظر عن الاحزاب التي تقسمهم وهكذا يمكننا ان نردد هتاف الرسول القائل: «ان حجة المسيح تحمينا» (٢ كور ١٤: ٥) دون ان يتسنى لاحد تكذيبنا

بينما نكتب هذه السطور نرى من نوافذ مقرنا الصيفي في جبل لبنان تمثال العذراء الطاهرة الجليل العظيم تراها ظافرة منتصبة على هذا الاثر الفخم الذي اتفقت على تشييده القصادة الرسولية في سورية والبطريركية المارونية وكان الاحتفال بتدشينه يوم الاحد الواقع في ٣ ايار من السنة الحاضرة. وان سالفنا المأسوف عليه السيد دوغال السيد الذكر لما فكر في هذا المشروع آمل ان السيدة العذراء اذا كُرِّمت بنوع خصوصي في بلاد سورية ظللت هذه الانحاء. بظل حمايتها الحصرية ونحن الذين اوتينا شرف انجاز هذا المشروع العظيم فبوجودنا تجاه هذه الحوادث التي جرت في السلطنة العثمانية بعد حفلة التدشين بزمان قليل نضع كل رجائنا في سيدة لبنان الطاهرة ونسألها ان تجعل هذه الحوادث آتلة لسمجد الله وديانته وان تمن على الشعب بان يجد فيها مزيد الرقي والنجاح الان ومدى الابد امين

وفيا نحن نستعين بصاراتكم فنتحجكم البركة جميعاً ايها الاعوان الاعزاء والابناء الاجباء باسم الاب والابن والروح القدس

صدر عن كرسينا في حريصا (جبل لبنان) في ٨ ايلول ١٩٠٨ عيد ميلاد العذراء

✠ الاخ فريديانو جيانيني

مريم

مؤتمران علميان

للاب لويس شيخو اليسوعي

رجعنا والحمد لله من مؤتمري برلين وكوبنهاغ اللذين دُعيت الى حضورهما رسمياً مدرستا الكلية فاوند الرؤساء حضرة الاب هنري لامنس والتقدير كاتب هذه الاسطر لنمثل كلية القديس يوسف في هذين المجمعين العلميين. قمنا بهذه المهمة بما امكناً من النشاط تلبيةً لدعوة من القينا في ايديهم زمام امرنا وكأنا بقرائنا الادباء يرغبون الينا بان نصف لهم سفرنا الى تلك الانحاء القاصية ونفيدهم عما جرى في المؤتمرات من الابحاث العلمية ليقنوا على احوالها ويفتخروا من نتائجها ويحذوا حذوها باثشاء النوادي العلمية وضد الجماعات لتثييط المعارف العمومية

رحلتا الى المؤتمرين

كان موعد المؤتمر الاول الذي قضي علينا بحضوره في العشر الاول من آب فسافرنا من بيروت في مساء ٢١ غوز راكبين باخرة لشركة المسابري الافرنسية قُدعي اكواتر فكانت رحلتنا في مثل هذا النصل مدعاة للهناء بصفاء اديم السماء ومدوّ تيار البحر فبلغنا مرسيلية في ٢٩ من الشهر بعد ان ارسينا مرقين في بورت سعيد والاسكندرية فتحققنا ما صارت اليه هاتان المدينتان من الحضارة والترقي منذ اجصرناهما آخر مرة قبل عشر سنوات. لولا ان احوال التجارة اُصيبت مؤخرًا بخربة لازبة في كل القطر المصري فكادت تلتصق بالدقما كثيرين من اهلها واصحاب ثروتها وانما الامل منقود باشتاع هذه السحابة. فمضى ان تكون هذه الازمة عبرة لحفي المضاربات ووازعاً لطالبي الارباح السريمة دون كد وعناء. فيعلمون ان الفنى الثابت لا يُنال الا بالساعي الطيبة والمعاملات المختصرة بالتروي والتأخيرات المعقولة

انمت مرسيلية منذ زمن قريب حتى اتصلت ابنتها بابنية خمس من القرى المجاورة التي نظمت في سلكها فاصبحت بذلك المدينة الثانية لفرنسة من حيث عدد سكانها. اما مينائها فهو مصدر ثروتها يردّه او يصدر منه نحو ستة ملايين طن من

السلع والمال المشحون في كل عام ومع سعة هذه التجارة البحرية تطلبها باريس بتجارة نهرها الذي تربي مشحوناته من العاصمة واليها على عشرة ملايين من الطنات ووافق وصولنا الى مرسيلة فتوح معرض الكهرباء. فيها فأقيم لذلك معاهد فسيحة نظمت فيها انواع الآلات على اختلاف اشكالها وصنوف فوائدها فبأخذ تنظيمها يجامع القلوب ويندهش الناظر اليها لاسيا في الليل اذ تمتد اروقة الظلمة فتلوح تلك الآلات بمظاهر فورية صجية من اكلّة واقواس وصور زهور وحيوانات وأبنية تتعدّ كلها كشعلة من النار بالالوان الزاهية والذقوش البهية الرائحة ما يحثّق قراصة بعض القائلين عن القرن العشرين انه سيُدعى بعصر الكهرباء.

ونحن في مرسيلة بلفتنا الانباء تترى في ما جرى في الاستانة العلية من الانقلاب السياسي بصدر الارادة السنية لكل الرعايا الثمانين باستعادة القانون الاساسي ومجلس الأمة المعروف بمجلس المبعوثان فوقع لدينا هذا الخبر موقعا طيبا وشكرا لله على هذه المنّة وطلبنا اليه من صمم النواد بأن يجعل هذه الامور فاتحة لعصر جديد تنسريه صوالح البلاد وتزيد الالفّة والترقي بين العباد

ووجدنا ليون لا تزال تتقدم على سواها بجوانرها ومنسوجاتها ومعاملها العديدة. وقد توقنا الى مزارها الشهير الذي يُشرف على البلد والمختص باكرام المذراء الطاهرة وهو من اكبر معابد فرنة المستحدثة. شيدهُ المسو بوسان احد المهندسين البارعين على رسم مستطرف لوفاء نذر الاهلين بعد الحرب البعينة. وقد صرف في بنائه ثَقَاً وعشرين مليوناً من الفرنكات تبرّع بها المحسنون من الكاثوليك بيد سخيّة وهو لا يزال ساعياً في اتمام العمل وزخرفته وتشيّ ليصبح آية هندسية بين البنايات العصرية

قطعتنا باريس ولم تتربّث بها وهي في هذا الفصل من السنة اهدى منها في بنية فصول العام لخروج كثير من اهلها الى الاصطياف في ضواحي البلد وكذلك مجلسا الأمة يبطلان عن الاعمال كما ان المدارس والنوادي العلمية تُغفل ويُخلد اصحابها الى الراحة والسكينة وكان رئيس الجمهورية قد خرج الى سياحته في البلاد الشمالية فزار دنيرك واسوج وتزوج وروسية والجراوند ملائى من تفاصيل رحلته السياسية واجتماعه بملوك الشمال

وفي ٢ آب مررنا ببلاد بلجيكة فشاهدنا بها قطراً صغيراً المساحة الا انه واسع

التجارة بليغ الصناعة كثير الثروة بلغتْ حكومتُه الكاثوليكية منذ ربع قرن الغاية في النجاح واسباب التقدُّم حتى صار في مقدِّمة البلاد المتحضِّرة لا ينقصُ شيء من محاسن الدين ومرافق الدنيا

لما عاصتها بروكل فعلى ترقِّي مستديم . كُنَّا قبل ثلاث سنوت زرة ضاحجةً منها خاليةً من السكن كانت شبه البيرة والبرم اضحت عامرة بالسكَّان تسير اليها قراطر الكهرباء . وتمتدُّ فيها الحدائق الفناء . وهناك شُيِّدت مدرسة كبيرة للأبائِ اليسوعيين البلجكيين جمعت كل المحتضات الهندسيَّة التي توافى المعاهد التهذيبية حتى صار الزوار يقصدونها من انكلترة وفرنسة ليطلعوا على تنظيمها ويجارونها في طريقتها الهندسيَّة . وفي هذه المدرسة تسكن جميَّة البولنديين الذين يشتغلون منذ ثلثانة سنة بجمع اعمال القديسين ونشرها وانتادها (اطلب المشرق ٨ : ١٨٤)

وكان الشغل الشاغل لحكومة بلجيكة عند مرورنا فيها انها . مسألة الكوتور التي اراد جلالة الملك ليوبولد ان يضئها الى مملكته بعد ان كانت ملكه الخاص وذلك تحت شروط اشترطها على الشعب البلجيكي . وجدها بعضهم ثقيلة على كاهل الدولة كان مسيرنا من بلجيكة الى المانية على طريق هولندة وهي شقيقة بلجيكة مدَّة اجيال عديدة واليوم رصيفها وقريبتها في الاعمال النافعة . واتفق انا اجتريا في انحاءها في يوم مولد ملكة البلاد وللملئين فاقام الاهلون الافراح واجتمعوا في النوادي والتهرات وزئبوا الشوارع . وكان البروتستانت والكاثوليك قلباً واحداً في هذه المظاهرات يلهبون جميعاً بحامداً صاحبة العيد . ومما لفتنا في كاثوليك هولندة تحمُّسهم الديني فكُنَّا زاهم يتقاطرون الى المعابد ويبتلون السبعة في طريقهم دون حياء بشري وبزودن للاكليروس كل شارات الاكرام والوقار حتى ان الكاهن في طريقه مشغول في رد السلام على كل من يلقاه . اما الحكومة فأنفأ تهذهم من اصدق رعاياها واشدهم غيرةً على صوالح البلاد

دخلنا التخوم الالمانية في ١٠ آب على طريق « آخن » التي يدعوها الفرنج إكس لاشابال من اقدم حواضر المانية المشهورة في أيام كارلس الكبير ملك فرنسة وفيها كان كرسي مملكته فقد ترى فيها حتى يومنا آثار راقية الى زمانه سررتا بزيارتها . ثم واصلنا السير قاصدين كولونية . فررنا بمناطعات يغلب عليها السكان الكاثوليك . وللدن في هذه

الولايات الشأن العظيم والسهم الأوفى . وكان انكاثوليك قبل وصولنا بأيام قد انجزوا مؤتمرهم السنوي برودني لم يبق له مثل قبلًا . قيل ان عدد الفعلة الذين مشوا في مركب المؤتمر آخر يوم منه أناف على ستين ألفاً حضروا الى دوسلدرف من كل جهات المانية فاذهلوا بآياتهم الحلي كل من رآهم

ودخلنا في مساء ذلك اليوم مدينة كولونية فترانا اليها منتظرين بضع ساعات قطار برلين فسمح لنا هذا التأخير بان نرور البلدة وبعض آثارها العجيبة اخذها كنيستها الكاثدرائية التي تجمع فيها كل محاسن الهندسة الكنسية من الطرز المعروفة بالقرطبي ومن رآها بنقوشها وذاخارفها لا يكاد يصدق أنها مبنية بالحجارة وإنما يحسبها تحاريم من الورق المرقى تفننت فيه ايدي الصنعة . وراجمة هذا البناء العجيب مزدانة بتنين من النمايل المقدسة التي تسحر اللب ببدائعها . وفي اعلاها برجان مخروطان تحترق حرابتهما الجوز على علو ١٥٠ متراً . وداخل هذه الكنيسة يناسب خارجها بمحاسن من حيث السعة والنقوش والبراعة الهندسية . هذا فضلاً عن ما في الكنيسة من الذخائر الثمينة كقبور الملوك المجوس الثلاثة وعصاة القديس بطرس الرعائية وسيف الملك كولوس الكبير وآنية للتقديس ثمينة جداً . وفي كولونية ابنة أخرى شهيرة كنيستها الغني بالآثار النصرانية القديمة وآثار الخزون الجلية ومعبدها اختفت بذكر القديسة اورسلا والشهيدات رفيتاتيا اللواتي قتلن البرابرة في سيل الايمان فقبرت اجسادهن في هذا المشهد وعُدتا الى ركوب القطار . مساء قضيّا صلب ليلتنا في السفر حتى اذا اسفر الصباح

نزلنا في محطة برلين

لم تلك هذه العاصمة قبل القرن الثامن عشر سوى مدينة صغيرة لم يبلغ عدد سكانها مئة الف نفس فأتخذها فريدريك الكبير (١٧١٠-١٧٨٦) حاضرة للمملكة بروسيا وشيد فيها الابنية الفخيمة ودعا اليها العلماء وارباب التجارة والصناعة ولم تزل منذ ذلك الحين تزداد في سأم الترتي لاسيا في اواسط القرن السابق . وقد بلغت اوج العز والفخر بعد الحرب السبعينية لما جعلها الامبراطور غليوم الاول (١٨٦١-١٨٦٨) رأس المملكة الالمانية واجداها من الحاسن ما يحق لها من امهات المدن . قراها اليوم تجاري باريس ولندن بقدرها ومعاهدها المعمورة الفخيمة ومبانيها الباسقة ومعابدها المستحدثة مع تجهيزها بكل الاختراعات الجديدة وتزيينها بالكتائب العديدة والمتاحف

الفريدة وآثار الامم القديمة من البابليين الى العرب. وعدد اهلها اليوم على موجب الاحصاء. الذي تم في شهر اذار من السنة الجارية ١٩٣٣، ١٠١، ٢، يغلب عليهم الدين البيروتاني مع شيمه المتمدة ومن بعدهم الكاثوليك الذين ينفون على ريع المليون ثم اليهود وهم فيها مئة الف. ويكثر الاجانب والفرقاء في برلين فان مددهم في السنة المنصرمة زاد على مليون بينهم ٨٩٠ من رعايا الدولة الطلية. وموقع المدينة على نهر سپراي الذي تسير فيه السفن

مؤتمر برلين

كان هذا المؤتمر الاول مختصاً بالدروس التاريخية على مختلف موادها وتباين ازمته وهو الثاني من جنبه. وكان المؤتمر الاول قد عقد في رومية قبل خمس سنوات فأتى بنتائج حسنة ثم اتفق اصحابه بان يعقدوه ثانية في عاصمة الالمان ليُتبع بذلك نطاق العلم التاريخية ويجعل علماء المانية منذ ذلك الحين يعدون اللوازم لهذه الغاية. والحق يقال انهم لم يألوا جهداً في بلوغ منبتهم واصابوا الغرض فكان عدد الذين لبوا دعتهم كاد يبلغ الالف عدداً قدموا الى برلين من كل انحاء اوربة بل من اميركة وآسية افريقية

﴿ تنظيم المؤتمر ﴾ منذ تقرر اختيار برلين لقسم المؤتمر التاريخي تشكل لتنظيم لجنة من كبار علماء كليتنا لينظروا في كل متتضيات هذه الحفلة الدولية وطبعوا لذلك نشرات اوسلوها الى جميع الدول والى انكليات والمدارس الجامعة يدعون عمدتها الى حضور المؤتمر فكان كل من يجيب الى هذه الدعوة يعلن برغبته الى كاتب اسرار اللجنة ويدفع مبلغاً قليلاً لا يتجاوز عشرين ماركاً اي ليرة المانية تؤهله لقبول كل المطبوعات المختصة بالمؤتمر. ويحتمى لكل من اراد من العلماء الدعوى ان يلقي خطاباً في بعض المواضيع التاريخية بشرط ان يخبر بذلك اصحاب اللجنة ليكونوا على بصيرة

ولما كانت ابواب التاريخ ممتدة يصعب استيفاء مضامينها في جمعية واحدة قم اصحاب اللجنة التدييرية المعارف التاريخية الى فروع مختلفة يرجع اليها العلماء على حسب اجائها. فكان فرع للتاريخ القديم وتاريخ اليونان والرومان وفرع لتاريخ القرون

الوسطى ولتاريخ الازمنة الاخيرة . ومن الاقسام التي خُصَّص لها بالنظر تاريخ الشرق وتاريخ الدول الاسلامية . وكان العلماء الذين طلبوا الانضمام الى هذا القسم الاخير اكثر من سواهم لما يترتب على تاريخ الشرق من الخطر وعظم الشأن

﴿ مقدمات المؤتمر ﴾ لم تدخر بلدية برلين وسعاً في تهينة الأندية التي يحتاج اليها اصحاب المؤتمر لاجتماعاتهم العلمية فخصت لذلك ارحب معاهدها وابدعها اعني دار الندوة الالمانية ومنتدى مجلس الاعيان . وفي تلك الدار الدواوين الفسيحة المزودة بالقروش البنية والحُجَر الواسعة والمكاتب والمطاعم . وبقيها مباني أخرى ذات الغرف المتسعة الارباع . افردتها كلها لاشغال المؤتمر

واقامت لجنة التدبير في خدمة المؤتمرين فئات خاصة تسمى في صرحهم وتفيدهم كل ما يحتاجون اليه مدة اقامتهم في المدينة كتعريف منازل برلين ومشاهدها . وكانت فئة أخرى مختصة بخدمتهم ومكاتبهم ونقل الاخبار بينهم اما بالتلغراف واما بالتليفون . وكذلك عيّنت اللجنة افراداً من اهل برلين رصدهم لحركة كل جنس من الوافدين وميقاتهم بالعلامات الخاصة على حسب لغاتهم

وفي اليوم السابق لانتساح المؤتمر اخذ الوفود يتواردون من كل فج وأوب الى المدينة . وكانوا يأتون دار الندوة حيث ترحب بهم اللجان الخاصة وتدوّن اسماءهم وعنوان سكنهم في برلين ثم توزع عليهم نشرات المؤتمر في اربع لغات اي الالمانية والانكليزية والافرنسية والاطالية فتبين لهم كل ما يلزمهم معرفته من امور المؤتمر وجلساته . وكانت تتخف ايضاً كل وافد بدليل واسع يتضمن كل اوصاف برلين مع خارطة بديعة ترسم جميع احيائها ومبانيها . وهذا الكتاب قد صنفت اللجنة لقائدة اهل المؤتمر . وكانت تضيف الى ذلك شارة محفورة مثل اللمة الحكمة فتعطيها اكل عضو يستازيها ويعرفه رصفاؤه والمأمرون جميعاً فلا يبرقوه في دخوله وخروجه ويساعدوه في كل مهام المؤتمر

وفي مساء ذلك النهار نحو الساعة الثامنة استعدت بلدية برلين كل افراد المؤتمر على اختلاف الجنسيات لتلو عليهم آيات الترحاب ويعترف بهذمهم بالبعض الآخر تسهيلاً لاشغال المؤتمر . فلما انتظم سلكهم قام رئيس البلدية وافتتح كلامه بالسلام على الوافدين معرباً عما تالته برلين من الشرف بقدم هؤلاء العلماء الذين تفتخر بهم دولهم

ويؤمنون في بلادهم لواء المعارف والآداب. ثم ابرز رسالة انقضاء الامبراطور غليوم تافرافيا لاصحاب المؤتمر يشكرهم على مجيئهم الى حاضرة مملكتهم ويتأسف على كون الاشغال لم تمكنه من استقبالهم بنفسه لتجوله في انحاء بلاده. وادبرت على الحضور الربطات والحواريات. ثم نُخِئت هذه الخللة نحو الساعة الحادية عشرة

وفي ضحى اليوم الثاني الواقع في ٦ آب عُقدت الجلسة الاولى الانتاحية العامة تصدّرت فيها العمدة البرلينية وقام خطباؤها كل على نوبته فتكلموا في غاية المؤتمر وفوائده وما يترتب على انعقاده من تعزيز الدروس التاريخية الى غير ذلك من المواضيع الشريفة وكانوا يرحبون بمثلي الدول الاجنبية زيطرون هيئة اصحابها. ثم قام هؤلاء التدويون واجاب كل منهم بلسانه شاكرًا باسم دولته ومبديًا الرجا. بان يكون هذا المؤتمر باعثًا جديدًا على رفع شأن درس التاريخ ورابطًا وثيقًا بين العلماء.

وبعد نجاز الخطب اختارت اللجنة الالمانية علماء اجانب مشهورا لهم في بلادهم ليرأسوا حفلات المؤتمر العمومية وتنازلوا لهم عن التقدم في الجلسات العمومية. وبذلك ظهر الانحاء والمساواة بين جميع انصار العلم. وكذلك الحملات الخصوصية لكل فرع من التاريخ كان تصدّر فيها مع علماء الالان غيرهم من رصفانهم الاجانب لا يلحظون في اختيارهم سوى الاهلية والعلم

﴿مباحث المؤتمر﴾ هذا المجال واسع لا يمكن استيفاء اقسامه في هذه المقالة. وقد بلغت الابحاث التي خاض فيها المؤتمرون فرق المئة نذكر هنا بعضها للانفاذة كان للتاريخ القديم في هذا المؤتمر مقام ممتاز فخطب العلامة البلجيكي فرنر كومون (F. Cumont) في تاريخ دين البابليين وعلاقاته مع السيارات السبع. وخطب العلامة ماسيرو (G. Maspero) في آثار مصر التاريخية ومساعي العلماء الاوربيين في انتاذهها من عيث المفسدين. وخطب ايضا في تاريخ مصر القديم الاثري الانكليزي غرنفل (B. P. Grenfell) فوصف اكتشافات البردي في القيوم. وكذلك العلامة ريسنر (G. Reisner) من علماء كبرج في امريكا وصف الدافن الملكية من السلالة الرابعة المكتشفة في مصر. وتلاه العلامة الالاني بورخرت (L. Borchardt) تزيل مصر فافاض في ذكر الدافن الملكية من السلالة المصرية الحالية التي وقفت عليها البعثة الالانية في بوضر. واتسع لوغرين (Legrain) العلامة الفرنسي في

اكتشافات كرنك العجيبة التي سبق الشرق فوصفها في سنته الثامنة . وتكلم المعلم الارلندي ماهافي (S. P. Mahaffy) عن اميرات مصر وملكانها القديعات . اما الاستاذ غونكل (H. Gunkel) من غيسن فانه قابل بين الآثار المصرية وروايات الكتب المقدسة ليعين ما بينهما من التوافق

ومن المقالات النشطة بالتاريخ العبراني والاراضي المقدسة مقالة المعلم الانكليزي ولیم دافيس (T. W. Davies) في مشروعات اليهود الدينية بعد رجوعهم من بابل ومقالة المعلم النمساوي سلين (E. Sellin) في حفريات اريحا والآثار الكنعانية التي ترتقى الى اكتشافها

وتعددت الخطب في تاريخ اليونان وتاريخ الرومان قبل ميلاد المسيح فكان بعضها في اكتشافات البعثات العلمية وبعضها في مسائل خاصة بافراد من علماء اليونان كارخيسيدس وغيره ومنها في المستعمرات اليونانية . ومنها ايضا في تاريخ الارميين الذين خلفهم الرومان . وفي الفنون اليونانية والرومانية

اما التاريخ بعد المسيح فان الابحاث فيه تنوعت فنها ما كان دينيا ومنها ما كان مدنيا ومنها ما يتناول عموم البلاد ومنها ما يختص ببلد واحد او امة واحدة او شخص واحد وذلك سواء في القرون الاولى او القرون الوسطى او الاجيال المتأخرة لان التاريخ يمس كل هذه المواد . وقد ألحق البعض بهذه العلوم التاريخية مباحث أخرى كتاريخ الفنون والآداب والمهندسة واخبار الروم والشرائع وتاريخ اللغات والعلوم الطبيعية وغير ذلك مما لا ينحصر في حيز التاريخ لكنه يترط به نوعا من المقالات التي استلفت الابصار مقالة السري ولیم رمسي (W. Ramsay) في النظام الكنسي في بلاد آسية الصغرى من حدود القرن الرابع الى الحادي عشر متندا الى الآثار التي اكتشفت في كل الجهات . وكل يعلم ما للخطيب من الفضل في تلك الحفريات وانه مكتشف ضريح القديس ابرقيوس الزين بكتابة قديمة من اخطر الآثار النصرانية . ومنها خطبة الالمانى لوفس (F. Loofs) من كلية هال في مجمع سرديقة سنة ١٩١٣ . ومنها فصل حسن للايطالي ريكوبونو (S. Riccobono) في رسوم الملك يستيان وتأثير النصرانية فيها . وكذلك بين الاستاذ الهولندي پيپر (F. Pijper) من كلية ليدن فضل الكنيسة في إبطال الرق في القرون المتوسطة

اما تاريخ الشرق والاسلام فاختص ما سمعناه خطاب للبرنس الايطالي كايثاني (L. Caetani) في اصول التاريخ الاسلامي . وكان لكلام الخطيب الوقع الحسن لانه ممن برزوا في هذا البحث وقد اشتهر بتاريخه الايطالي عن ظهور الاسلام وانتشاره وهو اوسع كتاب رُضع في هذا الصدد . وخطب المُلَامة بَكر (C.H.Becker) من اساتذة هيدلبرغ البارعين في اقتصاد العرب المالي في بداءة الفتح المصري . ومن الخطب التي استجدها الحضور خطبة فرنسية لحضرة الاب لامنس في خلافة ابي بكر وعمر بعد وفاة صاحب الدعوة العربية . وقد انتهزنا نحن فرصة مقدمة بعض مطبوعات كليتنا لاهل المؤتمر لنبين ما للسوريين من الهمة في نشر الآثار التاريخية . وهو بحث سنعود اليه ان شاء الله في بعض اعداد مجلّتنا

فن هذا النظر الاجمالي يرى القراء ما نجم عن هذا المؤتمر من الفوائد وما جرى فيه من الابحاث المهمة وكنا ودعنا لو ارسلت دولتنا العلية والحكومة المصرية من يثلها في هذا الاجتماع العلمي ليستقوا من موارد ويقتبسوا من انواره ويبعثوا بين مواطنهم روح الفيرة في مجارة علماء اوربة . وكفى بهذه الاجتماعات الدرايسة نعماً ان كبار العلماء واساتذة الدول المتفرقين يتقربون الى بعضهم وتبادل افكارهم والنور كما قيل ينبعث باحتكاك العقول

ولم تشأ اللجنة التنظيمية أن يتفرغ العلماء لاجابهم دون أن يأخذوا نصيباً من الراحة فتمنت لتجعل لهم سكنى برلين لذيدة مغيدة فتارة كانت تجمعهم للآدب بأنسرن بها في جملة الاصحاب وافاضل الجلوس . وتارة كانت تدعوهم الى زيارة متاحفها وآثارها وتقيم في خدمتهم من يكون لهم دليلاً عريفاً . وحيناً كانت تمد لهم السكك الحديدية ليزوروا ضواحي المدينة وخصوصاً القصور الملكية في پُستدام (Postdam) . وما زراه متحف القيصر فردريك لاسيا القسم الشرقي منه وهناك عادات نقلوها من كل انحاء الشرق من نقوش وادوات وحلي ووطناس واسلحة تشر كلها بترقي الشرقيين في التمدن في الاجيال السالفة . وفي هذا المتحف خصوصاً واجهة قصر المشتى وهو البناء العجيب الذي اقامه كما يرجح بنو امية على طرف بادية الشام فاتخذه به جلالة السلطان عبد الحميد قيصر الامان فنقلت حجاره الى برلين وشيدت كما كانت في البادية . وقد اخذنا المعجب من عظمة هذا الامر وهندسته الجميلة ونقوشه الرائسة التي تمثل ضروب النبات

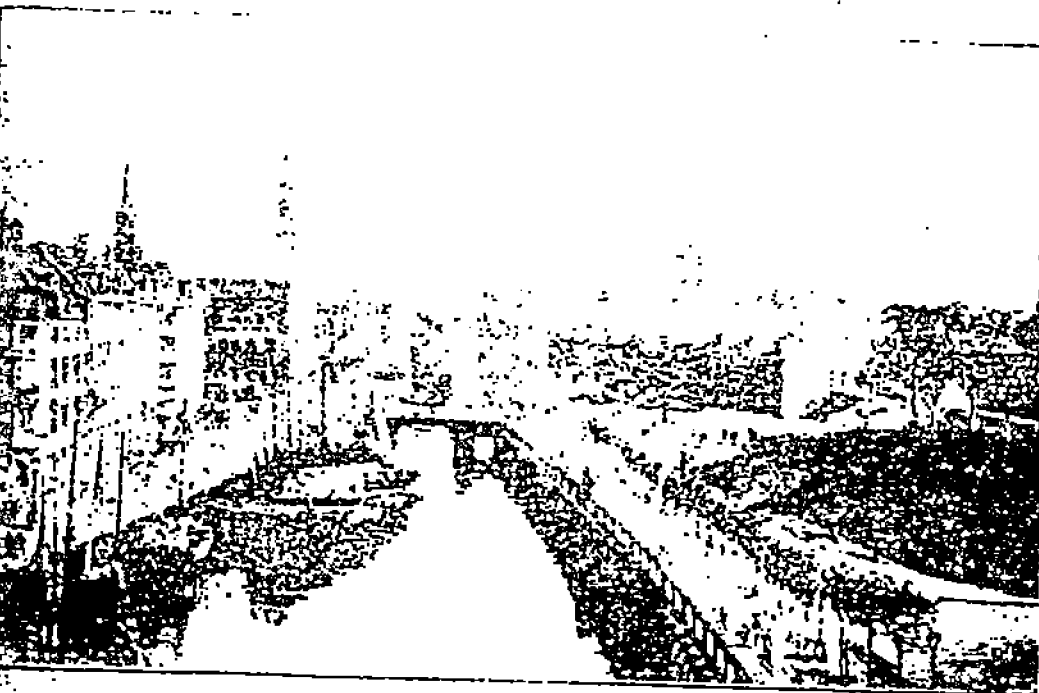
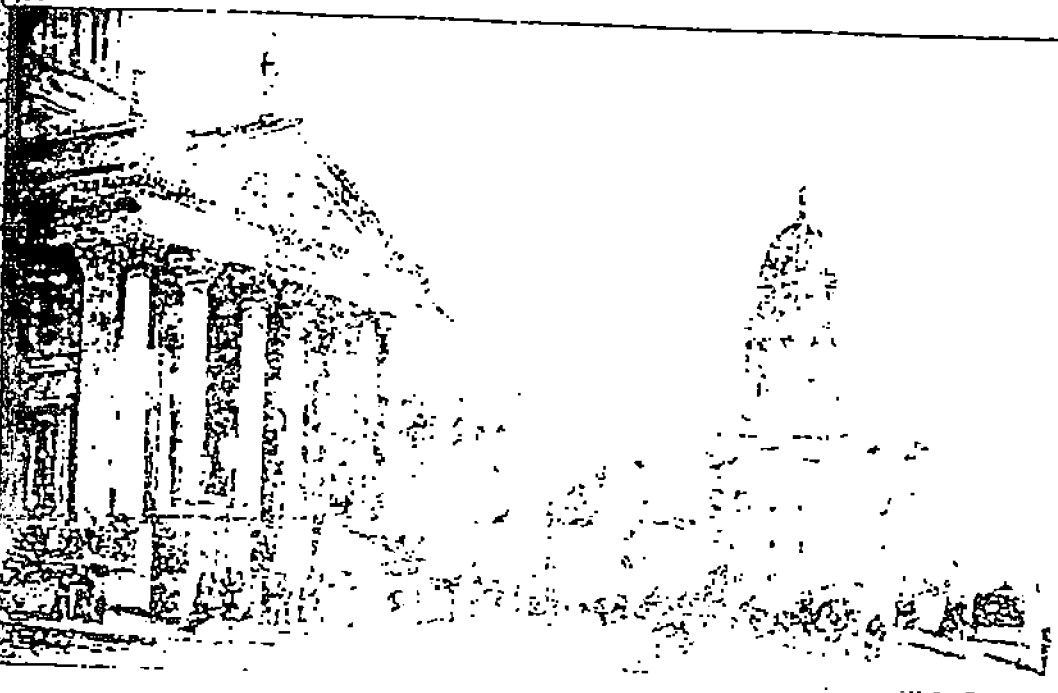
والحيوان واعمال اهل البادية (راجع المشرق ١: ٥٧٧ و ١٠: ٥٧٨) . وفيه ايضا قسم مختص بالآثار البورنظية القديمة تكثر فيه التصاوير والنقوش والمنحوتات والمنسوجات واعمال النسيج . والطرف الصناعية المعجبة . ومهظم هذه الآثار ديني محض اتخذ البورنظيون لمبادتهم . وقد لخصنا في جملة هذه الآثار تصاوير حفرة وقاميل مجسمة بالحشب والحديد والرغام ما فيه دليل لامع على ان البورنظيين لم يعتبروا اكلم التاميل والدُمى محالاً للعبادة المسيحية (راجع مقالنا في هذا الشأن ص ٤٣٠)

وبما نقل حديثاً الى برلين عاديّات غاية في الحسن اكتشفها البعثة الالمانية في تركستان قريباً من تخوم الصين وقد وصفها العلامة البرليني فون لوكوك (A. von Lecoq) بمخطبة القاها في مؤتمر برلين وكوبنهاغن وبرز صورها بالدور الكهربائي فانذهل الجميع لتقدم الصناعة والفنون في تلك البلاد القاصية في الاجيال السالفة . وكان من جملة هذه الآثار كتابات اسطرنجيلة ترتقي الى القرن السابع للمسيح تنبي بانتشار النصرانية في تلك الجهات . وقد وجدت هناك ايضاً بقايا من الشيعة المانوية وكتاباتها وماليها هذا فضلاً عن آثار التتر والفول وقبائل الترك القديمة التي لم يعرف من احوالها سابقاً الا الشيء القليل

مؤتمر المنترقن في كوبنهاغن

انتهى المؤتمر الاول الذي حضرنا جلسته في مساء الاربعاء الواقع في ١٢ آب فودعنا المعارف والاجاب وتحفرتنا للسفر الى عاصمة الدنيمرك حيث كان موعد المؤتمر الثاني بعد يومين

ركبنا القطار صباح الخميس من برلين ومنا نحو عشرين من علمائها راققونا ليحضرنا مؤتمر كوبنهاغن . والسكة الحديدية تقطع المسافة بين الديتين بنحو ١٠ ساعات فيسير القطار شمالي المانية بين البحيرات والسهول في مقاطعة مكلنبورغ . وهذه المقاطعة قليلة الخير وتربتها لا تصلح للزراعة وكذلك مدنها العامرة ليست هناك بهديدة اخضها لوبك والمدن الواقعة على سواحل بحر البلتيك مثل كونيغ ودينسغ وستاين وقد ارتفع قدر هذه المدن واتمت تجارتها بمد فتح قناة كيل بين بحر الشمال وبحر البلتيك . وفي ظهيرة النهار بلغ بنا القطار الى روستك وهي على شاطئ البحر بازاء بلاد الدنيمرك يفصل بينهما البلتيك بمسافة نحو اربعين كيلومتراً كان يقطعها الوكب في السفن . واليوم



صورة كورنيش عاصم اميرك وجرما

قد اخترعوا طريقةً جديدةً لنقل الركاب فإنَّ القطار الحديدي اذا بلغ ساحل البحر يجري منه الى السفينة مع ركابه فتقل السفينة القطار الحديدي برمته فاذا باءت السفينة بلاد الدنيمرك خرج القطار ببخاره من السفينة الى البر وواصل سيره . وفي هذه الطريقة اقتصاد كبير للوقت وللصاريف . وقد اخذت شركات السكك الحديدية تجري على هذا النوال في امكنة اخرى كما رأينا بين ايطالية وصقلية مركباً ناقلاً لقواطر السكة الحديدية بينهما . وقد اتفقت . ونحراً دولنا فرنسة وانكلترة على العمل بذلك في مضيق المنش لنفع البلادين

بلاد الدنيمرك متألقة من عدة جزائر او ارخبيل ومن شبه جزيرة فالبحار تحديقها من اكثر جباها وتجميل هواها . متدلاً مع وقوعها بين الدرجة ٥٣ و ٥٢ من العرض الشمالي وسكانها اليوم نحو ٢,٣٠٠,٠٠٠ وكانوا يبلغون ثلاثة ملايين بانيف قبل ان تستولي بروسيا سنة ١٨٦٦ على ثلاث مقاطعات كبيرة من بلادها وقد أحفظ ذلك الدنيمركيين وهم لا يزالون حتى اليوم يسرون العداوة للالمانين وينفرون عنهم ويجهرون بمخالبتهم وبلاد الدنيمرك زاهية عامرة وتربتها حسنة تكثر فيها المنتجات والمواشي الرائعة والاحراج الواسعة . اما اهلها فطبائعهم دثة وهم فروعون يحبون الاعمال الشريفة ويسعون في ترقية بلادهم ومع انكبابهم على الاشغال تراهم رزينين ملازمين الكينة والصلت لا تكاد تسع صوتهم في الشوارع . وامة اهل الدنيمرك من فروع اللغات الجرمانية تشبه اللغة الاسرجية والزوجية وهم يدرسونها ويدلون عن غيرها الا الفرنسية فانهم يتعلمونها في مدارسهم وينضاونها على اللغة الانائية . وفي مؤتمر المتشرقين اختار الدنيمركيون اللغة الافرنسية كاللغة الرئيسية مع الرخصة للعلماء بان يتكلموا بلغتهم الاصلية اذا شاوروا

كوبنهاغ عاصمة الدنيمرك قائمة على الطرف الشرقي من جزيرة كبيرة تدعى سيلند بازاء بلاد اسرج التي توى - وراحاها على بعد نحو نصف الساعة . وهي من اجل مدن اوربة الحديثة فيها الابنية الشاهقة والاسواق الرائجة والساحات المتسعة والبيوت العامرة لا ينقصها شيء . من اسباب التمدن المصري . واذا مردت بشوارعها وأيتها رجة يزيد عرضها على خمسين متراً تير فيه الساباة والدراجات وال عربات واللاتومويل والترمواي وكل صنف طريقة الخاص به لنلا يحدث بينهم ازدحام . والدراجات في كوبنهاغ اوفر منها في

باريس ولندن ترى راكيبها بالمتين لا يختلف في ذلك ذكورهم واثامهم حتى سمعتُ احد رقتي يقول ان كوينهاغ احق من غيرها بان تدمي مدينة الدراجات . وقد نمت كوينهاغ في نصف هذا القرن الاخير حتى بلغ عدد سكانها ١٢٦,٥٠٠ ومع ضواحيها ٥١٤,٠٠٠ وفيها مقام الملك الذي هو اليوم فردريك الثامن . اما الدين الوطني فالبروتستانية منذ عهد الاصلاح اللوترافي الموهوم . وقد اقرت الدولة بحرية الاديان منذ نحو خمسين سنة فاخذت الككلكة تترجع حقوقها السابقة وهي التي اوت بلاد دنسرك قديما من سوابغ النعم ما تنطق به تواريخهم . والكنيسة الرومانية تكرم بعض ملوكهم بصفة قديسين وليست كوينهاغ عاصمتهم سوى اثر احد الاساقفة الكاثوليك اسم ابسالوم ابتناها سنة ١١٦٧ وجعلها حصنا حصينا في وجه القرصان والغزاة . وترى اليوم تماثله على واجهة المجلس البلدي في زي الاساقفة على رأسه التاج وفي يمينه العصاة الرعوية

القينا عصا الترحال في كوينهاغ في اصيل النهار وكان الآباء اليسوعيون المقيمون في المدينة اسرعوا لاستقبالنا فاتزلونا في مدرستهم وتحنوا بنا شأن الاخوة باخوتهم . ولآباء رهباننا في كوينهاغ مدرستان عامتان الواحدة على اسم القديس اندراوس وهي اقدم في ربض المدينة على مسافة ساعة منها يقصدها الشبان العديدون لطلب العلوم العالية . والثانية في قلب المدينة وهي احدث عهدا تصبح قريبا من اخطر المدارس واعظمها شأنًا والحكومة مع كونها بروتستانية اعربت غير مرة عن رضاها بتعليم المدرستين وغرقت اصحابها الامتيازات الشرفية

وما لبثنا بعد ساعة من الراحة ان دُعينا الى مجلس البلدية حيث اعد ارباب الحكومة وعدة كاية كوينهاغ ردهة كبيرة لاستقبال وفد هذا المؤتمر الثاني فتليت آيات الترحيب وتلا رئيس الكلية نبأ برقيًا ارساه جلاله الملك للعلماء المستشرقين وكان حينئذ بعيدا عن عاصم فلما عاد اليها بعد ثلاثة ايام حضر بشخصه احدى جلسات المحفل العلمي ووجه الخطاب الى كل من ممثلي الدول الاجنبية . والملك وجل ديمث الاخلاق زين الجانب يؤانس كل من يقرب منه . وقد رأيناه يوما مع كويتيه في باب حديقة يمر به الناس فيسلون عليه ويرد على جميعهم السلام كأنه واحد منهم . وهو لم يملك الا منذ سنتين وقد خلف اياه كرسيان التاسع الذي طالت مدته ١٣ سنة

قلنا ان هذا المؤتمر الثاني هو مؤتمر المستشرقين اعني انه خصّ بالباحث الشرقيّة على اختلاف انواعها وانماها . وهو الخامس عشر من جنسه اذ يُعقد كل سنتين او ثلاث سنوات . وكانت حفلة الاولى في باريس سنة ١٨٧٣ ثم عُقد بعد ذلك في معظم حواضر اوربة كلندن وبرلين ولبدن وڤينة وستوكهلم . وكانت حفلة الاخيرة في مدينة الجزائر . وتشهد الاعمال التي نُشرت من هذه المجتمعات العلمية ما نجم عنها من الفوائد للآداب الشرقية عموماً والعربية خصوصاً

لا تُظيل الكلام في وصف هذا المؤتمر فان ترتيبه كان كترتيب المؤتمر السابق ألا ان مواده كانت الشرقيّات ولما كانت الشرقيّات مئة تسئل بلاداً شتى كالصين واليابان والعراق ومصر وفارس والشام ولغات مختلفة كاللغات السامية واللغات الايرانية والتّبريّة والمندوجرمانية أفرد لتلك البلاد وتلك اللغات محافل خاصّة كما جرى في برلين للتاريخ . وكان لكل من اصحاب المؤتمر شعار خاص ايضاً يُعرفون به ويُحلقهم عدة انعامات كالسير بجناح في الترامواي والدخول في المتاحف والمأهات الخاصة لا يرى احد شارة المؤتمرين على صدر عالم . ألا ورأى نفسه مشرفاً بمجده . حتى ان الاهلين اعدوا ايام المؤتمر كأيام عيد وطني فدعّوهم الى زيارة مآثرهم واتادوا لآكرهم حديقة واسمة تدعى بمجديّة تيقولي اقاموا فيها الالعاب النارية وعزفوا فيها الممازف الطاربة ثم ختدوا تلك المظاهرات الولائيّة بمأدبة فاخرة توفّرت فيها السرّات وشربوا الخباب ممثلي كل الدول ودقّوا الحانهم الوطنيّة

اما اشغال المؤتمر فان مدارها كان على كل احوال الشرق من آثار وتاريخ وائمة وآداب وهي لوجمت لأنافت على اربعة اوجمة مجلدات ضخمة لا يسعنا سوى ذكر بعضها ممّا يفيد بلادنا . فمن ذلك عدّة خطاب ألقاها المستشرقون في المادّيات العبرانيّة وتاريخ بني اسرائيل اخصها لساتني كوك (St. A. Cook) من اساتذة كبرددج في حقوقيّات فلسطين والتاريخ الاسرائيلي ثم مقالة في هيكل جزيرة اسوان وآثارها المكتشفة حديثاً (اطاب الشرق ١٠ : ١٧٣ و ١١ : ٥١) للدكتور يارويامندس (H. Pereira Mendez) من نيورك . ومنها مقالة في الدارم الملكية والرياضية عند الاشوريين للاب اليسوعي الالاني كوغلر (F. X. Kugler) . وخطب يسوعي آخر تزيل كليتنا البيروية سابعاً الاب يرك في آثار كتابيّة ارمينية قديمة . وخطب العلامة الفرنسي هوارت

(Cl. Huart) في منامات ابن هنية من كتبة القرن الحادي عشر وتكلم الأستاذ لبروس (Sp. Lambros) من كلية إينث في الكتابات التي تداولها السلطان بايزيد والاحبار الرومانيون. وبحث الاثني كاروليدس (P. Carolidis) في اقدم مجد صلي. فيه المسلمون في القسطنطينية. وكان موضوع كلام الاتري الفرنسي ماسينيون (L. Massignon) عن مقابر المسلمين في بغداد وما طرأ عليها من التغيرات. وخطب حضرة الاب لامنس في البادية والحيرة لدى بني امية واستطرد الى ذكر التصور التي ترى حتى اليوم في بادية الشام لاسيا قصر مشي الشير فرجح كونه من آثار الامويين. ومنشبت هذه الخطبة في صفحات المشرق. وقد اتخذ الفقير كاتب هذه الاسطر كادة خطابه في المؤتمر الامار الكتابية في التآليف الاسلامية كالترارة والانجيل والزبور وصحف ابراهيم وموسى وما عرف منها الكتب المسلمون فاثبتوه في مصنفاتهم وانتقد هذه النقولات وشار الى اصحابها

ومن المسائل الجلية التي عُرِضت في هذا المؤتمر فاستوقفت انظار اصحابه مسئلتان خطيرتان: الاولى مسألة مُعْجَم عربي جامع يَدْخُلُ المعجمات السابقة يكون مبناه على التآليف العربية ويوضع على اسلوب علمي كالتواميس المتحدثة مع بيان معاني الالفاظ الاصيلة والفرعية والمجازية وتعريف اشتقاق بعضها من بعض. وكان الخطيب المتكلم في هذا الموضوع مدير المجلة الامسيوية الالمانية الدكتور فيشر (A. Fischer) فعين المؤتمر لجنة للنظر في هذا الامر ووجود الطريقة العملية للقيام بالمشروع. اما الثانية فتختص بالآثار البنائية والكتابات التاريخية التي على المآجد والقبور والابنية والتصور لتُجمع فتُنشر اقساماً على حسب المدن والبلاد. وقد تكلم في هذا الصدد العلامة السويسري فان بركم (M. v. Berchem) الذي نشر اربعة اجزاء من هذه الاثرية الاسلامية. وهو ساع في واصله العمل وقد طلب من كل محبي الآثار العربية ان يواظروه في هذا المشروع العظيم

وكان ختام هذا المؤتمر في ٢٠ آب فكررت عدة كونهما شكرها للعلماء الذين شرفوا مدينتهم بعقد هذا المجمع العلمي في عاصمتهم. ثم اتفق المؤتمر على ان يتخذوا ائنة بعد سنتين كقيام المؤتمر السادس عشر. وباليتمهم يختارون دفعة أخرى بلاداً كتندي جُمِيتهم العلمية لينعش حضورهم بينا الدروس الشرقية ويعلموا مواطننا الجدة والنشاط

في أحياء الآثار الدفينة . وقد قتلنا واجعين من الديسرك ثاني يوم بعد نهاية المؤتمر على طريق هسبورغ فنقلتنا سفينة المائة الى مدينة كيل فأتينا ذلك الرسى العجيب الذي فيه يُقيم الاسطول الالمانى ورأينا القناة الحديثة التي تجمع بين بحر البلتيك وبحر الشمال وكان فتحها كبدلٍ عسر جديد للبحرية الالمانية

ولم يمر علينا يومان حتى رجعنا الى باريس ومنها الى مرسيلية فحضر فالاسكندرية فيروت ولم تقض في هذه الرحلة سوى شهر ونصف فكانت لسرعة تنقلنا في البلاد اشبه بحلم يتخيل للنائم فيصبح وإذا بحلمه قد توارى لم يبق له منه سوى الذكر او كجرت له نبر نوره البصر لمحة ثم انحنى فصار اثر ابدع عين فبحان الباقي الذي وده لا يعمل فيه النيار مدى الادهار

كتاب نخب الذخائر

في أحوال الجواهر

عني بنشره وتعليق حواشيه الاب لويس شيخو البسوي

لقد طبعنا

ان بين العلوم الطبيعية فرعاً يفرده العلماء للبحث عن الجواهر والمعادن الكريمة وقد عرف القدماء هذا العلم منذ القرون انسالفة في كل الامم وقد اتبع فيه اليونان كارسطر وديونوتوريدس ثم الرومان كيلينيوس الطبيعي وكذلك العرب من بعدهم عنوا بهذا العلم اناقة الجدة . اما غايته فقد عرفنا الحاج خليفة في كتاب كشف الطنون حيث قال (٦٢٦: ٢) : « علم الجواهر علم يُبحث فيه عن كيفية الجواهر المندنية : البرقية كالالاس والدلل والياقوت والفيروزج . والبحرية كاللدر والمرجان وغير ذلك ومعرفة جيدها من رديها بعلامات تخص (تختص) بكل نوع منها ومعرفة احوال كل منها وغايته وعرضه ظاهر » . والعرب في هذا الباب بعض المصنفات قد ضاع اكثرها الا كتاباً شاع بينهم وهو كتاب ازهار الافكار في خواص جواهر المعجار صنفه ابو النّاس احمد بن يوسف القاهري الشهير بالفيثافي المتوفى سنة ٥٦٥ (١٢٥٣ م) ومن هذا التسليف نسخ عديدة في خزائن الكتب الشرقية وقد نشره بالطبع الالمانية الايطالي انطونيو راناري (A. Raineri) في فيرنسة سنة ١٨١٨ ونقله الى الايطالية ثم قام المشرق الفرنسي كليمان موله (Cl. - Muller) فنقله الى الفرنسية وزاد عليه ملحوظات شتى في المجلد الاسويثية (J.A., 6^o Série) (Xl , 1-81 etc) استارهما من كتاب الاحجار لارسطو ترجمة لوفان بن مرافيون وكتاب مر

الاسرار في سرقة الجواهر والاحجار. وكتاب كثر التجار في معرفة الاحجار وغير ذلك من المخطوطات المصورة في مكتبة باريس

ومألفهما به آخراً حضرة الاب انتاس الكرملّي الفاضل كتاب تحب استنسخه في بغداد على نسخة قديمة بخطها يد المؤلف او يد احد معاصريه طولها ١٨ سنتيمتراً ونصف في عرض ١٣ سم ومعنى الكتاب على المجلدة الكريمة وهو يدعى «كتاب تحب الذخائر في احوال الجواهر» وتعرف منه نسخة اخرى مخطوطة في المكتبة المديونية (١٣٤:٧) وذكره الحاج خليفة في كتاب كشف الظنون (١٣٤:٦) قال من صاحبه انه «لخص فيه كلام المتقدمين والمتأخرين بين الحكماء في ذكر الجواهر النفيسة واصنافها وصفاتها ومعادها المعروفة وقيمتها المشهورة وغيرها» اما المؤلف فلا تعرف من امره الا القليل واسمه شمس الدين ابو صيدافه محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصاري الشهير بابن الاكثافي. كان مولده في سنجار واشتغل بالطب في مصر وكان موته بالطاعون سنة ٧٢٩ (١٣٤٨) وله تأليف جليلة محفوظة في المكتبة المديونية وغيرها منها كشف الرّين في احوال العين. وغنية اللبيب في غيبة الطبيب. وعناية القصد في صناعة القصد. والنظر والتحقيق في تغليب الرقيق. وارشاد القاصد الى اسنى المقاصد

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول العبد الفقير الى الواحد الباري محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصاري الحمد لله كنهه افضاله والصلاة على سيدنا محمد وآله (وبعد) فهذا كتاب لخصت فيه خلاصة كلام الاقدمين والمتأخرين من الحكماء المتعبرين في ذكر الجواهر النفيسة باصنافها وصفاتها ومعادها المعروفة وقيمتها المشهورة الألفة. وخواتمها ومناقضها باوضح لفظ واضح معنى ووسسته «تخب الذخائر في احوال الجواهر» رجائيت في الاطياب. رميت في القشر عن اللباب. والله اسأل ان ينفع به بمحمد وآله

﴿القول على الياقوت (١)﴾ اصنافه اربعة : الاحمر وهو اعلاها رتبة واعلاها

(١) قد اتفق كيسان موله في وصف الياقوت (64 - 30. 1868. J. A.) وما قاله الشرقيون فيه وفي اجناسه المختلفة وقوله في ذلك بسد حجة وقد بين هناك ان العرب ارادوا بالياقوت حجراً كريماً غالبية الثمن كثيرة الانواع توافي ما يدعوه العلماء الاوربيون باسم كورندون (corindon) وهم يطلقون عليه اسماء اخرى على اختلاف الوان فيدعون الاحمر منه

قيمة . والاصفر . والازرق والابيض . وللاحمر سبع مراتب اعلاها الرماني ثم البهرماني
ثم الأرجواني ثم الأحمي ثم البنسجي ثم الجلتاري ثم الوردی
فالرماني هو الشبه بمحب الرمان الغض الخالص الحمرة الشديد الصبغ انكثير الما .
ويوجد لونه بان يُنظر على صفيحة فضة بجلاء قطرة دم قرمز اعني من عرق ضارب . فلون
تلك القطرة على تلك الصفيحة هو الرماني

والبهرماني يشبه بلون البهرمان وهو الصبغ الخالص الحاصل عن المعصر دون
زردج (١) ومن الجواهرين من يفصل البهرماني على الرماني والتفضيل انما هو بشدة الصبغ
وكثرة المانة والشماع . ومنهم من يقول هما شي . واحد وانما اهل العراق يقولون بهراني
واهل خراسان يقولون رماني فالخلاف لفظي

والارجواني ايضاً شديد الحمرة . وقيل : كان الارجواني لباس قياصرة الروم وكان
مختلواً عن السوق الى زمن الاسكندر فانه اقتضى رايه ان لا يختص الملك بلباس
يُعرف به فيتخذ . ومنهم من يسمي الارجواني الجتري بالجم تشبهاً له بالجمر المتقد
وصحفة بعضهم بالجتري وكان الجتري هو البنسجي

واما الاحمي فهو دون الارجواني في الحمرة يشبه ماء الأجم الطري . الذي لم
يشبه ملح . والبنسجي يشوبه كثرة تخرجه عن خالص الحمرة وهو لون البنفسج
المعروف بالاذنبي . واما الجلتاري فيشوبه بعض صفرة . والوردي يشوبه بياض وهو
اقل طبقات الاحمر . واجود هذه الالوان كلها ما توفر صبغه وماؤه وشماعه وخلا عن
الشمس وعن الحركات والليآت وهي حجارة تختلط به وعن الرتم وهو وسخ فيه شبه الطين .
وعن التفت وهو كالمدع في الزجاجة اذا صدمت يمنع نقره الضياء والاشفاف . وهذا قد
يكون اصلياً وقد يكون عارفاً . ومن عيوبه ايضاً اختلاف الصبغ فيشبه البقلة ومنها
غمامة بيضاء صدفية تتحل ببعض أطوارها فان لم تكن عاترة (غائرة) ذهبت بالحل

(١) grenadin (saphir rouge, thélesie, rubis,) والرماني والمبتساري (escarboucle) والحمري (améthyste orientale) والامانبوتي (saphir oriental)
والاصفر (topaze oriental) والابيض (saphir d'eau) . ما اسم الياقوت فقد اشتقه العرب
من لفظة يونانية (ζαφειρος) التي تطلق اليوم على جنس آخر من الحجارة الكريمة
(١) البهرمان بالعربية المعصر (safran) والزرديج ماء الصفر

واذا خالط الحبرة لونٌ غيرها يزول بالحلي بالنار بتدريج وتبقى الحبرة خالصة ولا يثبت على النار غيرها ومتى زالت الحبرة بالحلي فليس ياقوت

ومعدن الياقوت بجبل يسئى الزأمون (١) في جزيرة سرنديب. وفي سيلان ومكران معدن الياقوت الاصفر والازرق وتحت جبل البرق معدن الياقوت الاحمر. والياقوت أصلب الجواهر ولا يحدسه منها إلا اللاس ولا ينجلي بنشب الشمس (٢) الرطب وانما يسوى بالنبادج (٣) ويحلى على صفيحة نحاس بالجرع المكأس والماء وهو لشذ الجواهر صقالاً واكثرها ماء وشماعة في الليل في ضوء الشمع احمر وشماخ البلخش ونحوه ايضاً

وذكر القدماء ان قيمة المتقال الفاتى من الياقوت الاحمر ثلاثة آلاف دينار. واما في الدولة العباسية فان الغالب من قيسه ان الجيد منه اذا كان وزن طسوج يساري خمسة دنانير وثمانه عشرين ديناراً وسدس متقال ثلثين ديناراً وثلث متقال مائة وعشرين ديناراً ونصف متقال اربعمئة دينار وثلث المتقال بالف دينار ونصف بالقي دينار هذا ما تقرر في أيام الأمون مع كثرة الجوهر في ذلك الزمان. والمتقال من البهرماني بثمان مائة دينار ومن الارجواني بنحس مائة دينار ومن الجلتاري بمانتي دينار ومن اللحسي بانه دينار. والبنفسي يقارب. والوردي دون ذلك. وكان في خزانة الامير عيين الدولة ياقوتة شكل حبة الغب وزنها اثنا عشر مثقالاً قومت بعشرين الف دينار. وكان للمقتدر قداً (فص) يسئى ورقة الآس لانه كان على شكلها وزنه مثقالين الا شميرتان اشتراه بستين الف درهم

واما في هذا الزمان فان قيمة الياقوت وسائر الجواهر زادت كثيراً. واما الياقوت الاصفر فاعلاه ما يقارب الجلتاري وبسده المشي وبسده الأترجي وبسده التني. وبلغت قيمة الاصفر الجيد المتقال مائة دينار. واما الازرق ويسئى الاكهب فاعلاه الكعلي ثم التلي ثم اللازورددي ثم الساني وكان في القديم قيمة الجيد من الازرق عشرة دنانير المتقال وما زاد قترداً دقيسته باضاف ذلك. واما الابيض فانه يُجعل

(١) الزأمون من جبال سيلان وقد دعاه ابو الفداء في تفرع البلدان الزأمون وقد صحت في الادريسي بالرهوق. والشريقون يزعمون ان آدم ترل طبع بد خروجه من الفردوس وان اثر قدمه يرى حتى اليوم ولذلك شاع ايضاً اسمه عند الفرنج بقية آدم (Pic d'Adam)

(٢) الشجر شجرة تدعى باسم السام (asclepias gigantea)

(٣) السبادج حجر من يعرف عند الفرنج باسم (émeri)

من سرنديب ويكون رزناً بارداً في الفم واجوده البلوري الكثير الماء وهو اقل قيمة من سائرهما

قال ارسطوطاليس (١) ان مزاج سائر اليواقيت حار يابس واذا عُلّق شيء من اي اصناف كان على انسان اكسبه مهابة في عين الناس وسهل عليه قضاء حوائجه ودفع عنه شر الطاعون. وقال ابن سينا: ان خاصته في التفريح وتقوية القلب ومقاومة السموم عظيمة وشهد جمع من القدماء انه اذا أُمسك في النعم فرح القلب. وقال النافقي وغيره انه ينفع قث الدم وينفع جموده تليقاً. وقال ابن زهر: ان شرب سحيقه ينفع الجذام وان التخم به يدفع حدوث الصرع. وقال ابن وحشية: من علق عليه الياقوت الابيض اتسع رزقه وسهل تصرفه في المعاش

وفي زماننا هذا حجر نقيس يعرف بين المر (٢) لشبهه اياها كأن فيها زيتي (زنبقا) يتحرك يتألى فيه الملوك والامراء ويقال انه من اصناف اليواقيت ويظهر من معادنها. وقيمته اذا كان قائماً وزنه نحو نصف مثقال الف درهم فما فوقها. ويقال انه اصح وقاية لعين المجدور

القول على البلخش ﴿ ويسمى اللؤلؤ بالفارسية (٣) وهو جواهر احمر شفاف مُفَرَّص في يضاها فائق الياقوت في اللون والروني ويتخاف عنه في الصلابة حتى يحتك بالمصادمات فيحتاج الى الجلاء بالرقشيا (٤) الذهبية وهو افضل ما يلي به هذا الجواهر ومنه ما يشبه الياقوت البهرماني ويعرف بالباركي هو اعلاها واغلاها

وكان يُباع في أيام بني بويه بقيمة الياقوت حتى عرفوه فنزل عن تلك القيمة وقرّر ان يباع بالدرهم دون الثقال تفرقة بينه وبين الياقوت. ومنه ما يميل الى البياض

(١) هذه الخواص التي يذكرها المؤلف هنا في الفصول الآتية عن ارسطو وبعض الاطباء والطبيين مبني على توحشات باطلة لا صحة لها

(٢) من المر نوع من الكوارتز يُدعى عند الماء (astérie) او (quartz chatoyant) اطاب المجلة الاسيوية (JA. 1868¹, 139)

(٣) البلخش او اللؤلؤ يسمى عند الجوهريين الاوربيين (rubis balais) او (spinelle) (JA. 1868¹, 109)

(٤) المرقشيا (marcassite) معدن مركب من الحديد والكبريت وقليل من الزرنيخ والفضة والذهب

ومنهُ ما يعل الى البنجية وهما دون الاول ومعدنه بالشرق على مسيرة ثلثة ايام من
بذخشان وهي له كالباب ومنهُ ما يوجد في غلب شفاقة ومنهُ ما يوجد بغير غلاف
وشهد منه ما يزيد وزنه على المائنة درهم وكانت قيمته في القديم عن كل درهم
عشرين ديناراً وربما زاد عن ذلك وليس لهذا الجوهر منفعة كالياقوت بل يشتري
لحبه

القول على الجيادي (١) يعرف بالنفش هو حجر يشبه الياقوت بعض الشبه
الا انه لا يضي غالباً حتى يلمع من تحت بالحفر ليشق عن البطائن وشبه ارسطوطاليس
لونه بنار يشوبها دخان . ومنهُ ما يجلب من سرنديب وهو ارفع طبقاته ويعرف
بالاذبني ومنهُ ما يجلب من بذخشان ومنهُ ما يجلب من بلاد العرب ويعرف بالقردي
ومنهُ ما يجلب من بلاد افرنجية ومنهُ صنف يشوبه صفرة خلوية ويعرف بالاسبادشت (٢)
ويوجد في الحراساني منه ما يكون وزنه نصف من . اما السرنديبي فانه لا يتجاوز
مقدار الياقوت بكثير وزن . وقيل ان الحيد منه يلتقط رغب الريش المتروك ويبلغ
قيمة الدرهم منه ديناراً واحداً . وقال ارسطوطاليس : ان من تحتم بوزن عشرين شهيرة
منهُ لم ير في مثله احلاماً ردية ومن ادمن النظر اليه تقى نور عينه . وقال ابن ابي
الاشعث : لبه يورث الحيلاء ويحرك الشبق . واما الاسبادشت فانه يقطع الرعاف
وترف الدم تعليقاً اذا كان وزنه نصف مثقال فما فوقه

القول على الماس (٣) هو جوهر يشبه الياقوت في الرزاقه والصلابة وعدم
الانفعال عن الحديد وقهره لغیره من الاحجار وهو شفاف فيه ادنى برق ويوجد فيه
الايض والتزيت والاصفر والاحمر والاخضر والازرق والاسود والفضي والحديدي .
واشكال الماس كلها مخرسة مخروطية ومثلثات من غير صنعة . والمند ثقيل منه الايض
والاصفر بسبب ما يظهر منها من الشعاع الاحمر الشبه بقوس قزح اذا اقبل في مقابلة

(١) يسمى الفرنج الجيادي (grenat) بالنفش (hyacinthe) او (zircon) وم
يفرقون بينهما (اطلب المجلة الاسوية ١٢٥ و ١١٧ et ١٨٦٨ J.A.)

(٢) وقد ضبطه كيسان موله بالباء والذال اسبادشت (sorte de zircon jaune)

(٣) اطلب الفصل الذي خصه كيسان موله لدرس الماس عند العرب في المجلة الاسوية
(J.A. ١٢٧-١٣٩)

عين الشمس . ولما اهل العراق وخراسان فلا يفرقون بين الواح لانهم انما يستملونه في
نقب الجواهر خاصة ومعدنه بقرب معدن الياقوت وله معدن قرب فزرة ومعدن بمعدنية
من بلاد الروم وله كلون النشادر ومعدن باليمن وهو حديدي اللون ومعدن بقبس
وهو فضي اللون رخو . ومن غريب حال الماس انه اذا طُرق بطرقة على سندان فكما
فيها ولا يتكسر واذا لُف في حفيحة أُسْرِبَ وضرب انكسر وغالب ما يوجد منه
قطعا (قطع) صغيرة بقدر الفانل ونحوه . وكان قبة هذه قديما المتقال باني دينار .
وما كان بقدر البندقة او قاربه فيكون قبة من ثلثائة دينار الى خمس مائة دينار
وحكى نصر الجوهري ان ممر الدولة بن بويه الديلمي اهدى الى اخيه ركن
الدولة من الماس فصا وزنه ثلثة مثاقيل ولم يسمع باعظم منه (١) . واخبرني السيد
الشريف ناصر الدين الزمردى انه رأى عند السلطان قطب الدين ملك الهند من الماس
الجيد الجليل القدر شيئا كثيرا جدا ولمأهم لا يسبحون بخروج جيده من ارضهم لانهم
يتأمنون به

قال ارسطوطاليس الماس بارد يابس في الرابعة يُنْقَبُ بِِ الياقوت وسائر الاحجار
الصلبة ومتى كان في مجرى البرق حصة فتلحق حبة من هذا الحجر في حديدة كالتا طير
ثم يدخل في التفتيب لتأس الحصة فتنتهبها . ولا ينبغي ان يدخل في القم فانه يكسر
الاستان وان ابتاع منه شي . ربما قتل

﴿ القول على الدر واللؤلؤ ﴾ (٢) الحيوان الذي يتولد فيه اللؤلؤ هو بعض
الاصداف وهو دقيق القوائم لرج يفتح بارادة منه وينضم كذلك ويمشي اسرابا
ويزدحم على الرعى . واختلفوا في تولده في هذا الصدف ففهم من قال انه يكون فيه
كما يكون البيض في الحيوان البياض . ذكر ذلك جمع من المحققين وقيل بل يطلع
الى سطح البحر في شهر نيسان ويفتح الصدف ويتلغى الطير فينمقد جأ . ذكره نصر
الجوهري وكثير من الناس

(١) راجع في المشرق (٦: ٨٦٥ و ٨: ٢٨٥) مقالين للاديب اسكندر انصاري طبع في
قطع الماس الشهيرة بكبرها

(٢) للؤلؤ اسم آخر ايضا عند العرب فهم يدعونه الجوهري قال التيفاشي : والجوهري اسم عام
للاحجار المدينية ثم خصوه باللؤلؤ لفضله عليها . والدررة اذا نقتبت لتنظم في قلادة دعت جمانة
او شذرة وان لم تنقب فهي الحريرة . راجع المجلة الاسيوية (١٦-١٧، ١٨٦٨، JA.)

واقول عند التدقيق لا تضاد بين القولين والجواز ان يكون تكون اللؤلؤ في صدفه
 كتكون البيض ويكون قطر نيسان له بشابة النطفة (١١). وقال الكندي: ان موضع
 اللؤلؤ من هذا الحيوان داخل الصدف وما كان منه مما يلي القم والاذن فهو الجيد
 منه. وقالوا ان الحب الكبير انما يكون في حلقومه ويزداد بالتفاف القشور عليه والدليل
 على ذلك انه يوجد طبقات والداخلة منها شبيهة بالحارثة وكالها تشابه باطن الصدف وله
 مفاصات مشهورة في البحر الاخضر (٢). ويوجد في مجازات بين تلك المفاصات وبين تلك
 السواحل. ومن المفاصات المشهورة مفاص أوائل بالبحرين ومفاص دهلوك والسرين
 ومفاص الشرجة باليمن (٣) ومفاص القلزم بجوار جبل الطور ومفاص غب سر قديب
 ومفاص سفالة الزنج ومفاص أسقطرة. وقد يتنق في بعض المفاصات مانع من النوص
 كالحوانات المؤذية التي في مفاص القلزم ولهذا يدهن النواصون عند النوص ابدانهم
 باليعة السائلة لان الموام البحرية لا تقربها

ويختلف اللؤلؤ باختلاف المفاصات من جهة تربة المكان وغذاء الحيوان كما تعاب
 الرصاصية على اللآلي. القلزمية والدهلكية والوقت الذي يُفحص فيه هو من أوّل
 نيسان الرومي الى اخر شهر ايلول. وفي ما عدا هذه المدة يسافر هذا الحيوان من السواحل
 ويأجج. ويختلف اللؤلؤ بالمقدار فنه اكبار والصغار وما بين ذلك واعظم ما وجد منه
 الياسة التي كانت عند عبد الملك بن مروان ذكر انها كان وزنها ثلثة مثاقيل وكانت
 مع ذلك حائزة لجميع صفات الحسن مدحرجة نقة رقيقة ولذلك سويت الياسة
 ولم يذكر عنباقة لكن ذكر الاخوان الرازيان انها شاهدة في خزانة الاميريين
 الدولة جبة ذات قاعدة وزنها مثقالان وثلث وانها قومت بثلثين الف دينار. ويختلف
 اللؤلؤ ايضا في شكله فنه المدحرج ويعرف بالعين واذا كثرت استدارته وماؤه سي
 نجسا. ومنه المستطيل الزيتوني ومنه الغلامي وهو المستدير القاعدة المحدد الرأس كأنه

(١) هذه المزاعم في اصل تكون اللؤلؤ تناقها الكتب القديمة عن اليونان. واليوم قد ثبت ان
 اللؤلؤ من افرازات بعض الحيوانات الصدفية يكون او لا مائنا ثم يجيد ويتصائب ويتكثف بلون
 ابيض فضي

(٢) يريد بالبحر الاخضر بحر الهند المجاور للبحر الاحمر

(٣) ذكر الادريسي في جغرافيته مفاصات بحر فارس بين عمان والبحرين وبها ما سمي
 سحار ودمار ومسقط وخرق وجلفر

مخروط ومنه القلبي المخرطح ومنه النوفلي والورزي والشميري ومنه المضرس وهو
أدونها شكلاً

ويختلف اللؤلؤ أيضاً في لونه فمنه النقي البياض ومنه الرصاصي ومنه العاجي
وصنفته غالباً في حساب المرضة وإذا زاد وطال زمانه اسود . واللؤلؤ سريع التغير
لأنه حيواني بخلاف الجواهر المعدنية فإن أعمارها لا تفي بتغير أكثرها ويُقَب هذا الجب
لأنه يزداد بحسن التأليف في النظم حسناً ورواقاً وقيمةً وإنما يُقَب بالماس فلذلك لم
يستعمل الأطباء في الادوية إلا البكر غير المتعوب والقيمة من الدر في القديم النجم
إذا كان وزنه مثقالاً كانت قيمته ألف دينار وإذا كان وزنه ثلثي مثقال كانت قيمته
خمسة دنانير وإذا كان وزنه نصف مثقال كانت قيمته مائتي دينار وإذا كان وزنه ثلث
مثقال كانت قيمته خمسين ديناراً . وإذا كان وزنه ربع مثقال كانت قيمته عشرين
ديناراً . وإذا كان وزنه سدس مثقال كانت قيمته خمسة دنانير . وثمن مثقال قيمته ثلثة
دنانير . ونصف سدس مثقال قيمته دينار واحد

والغلامي بالنصف من قيمة النجم وما عداها بالنصف من قيمة الغلامي وأما ما
زاد على مثقال فيزداد لكل قيراط في الوزن مائة دينار في الثمن إلى أن يبلغ مثقال
ونصف ثم يزداد لكل داني في الوزن خمسة دنانير في الثمن إلى أن يبلغ مثقالين وما
زاد عليه يتضاعف قيمته . وأما الآن فالقيمة على قياس الجواهر متضاعفة لكثرة
الرفات من ملوك العصر في اقتناء الجواهر النفيسة . وأما صفاه فبالدرهم يُقَرَّم
وخاصية اللؤلؤ المنفعة من خفقان القلب وتوحشه ويجلو العين ويزيد في الباه ويقطع
ترف الدم وشربه درهم والمحلول منه يذهب البهق والبرص والكلف والنش طلاءً
ويبرئ الصداع والشقيقة سعوطاً وصفة حله أن يُسحق ويُعجن بماء حاض الاترج
وصلق في دهن فيه خل بحيث يرتقي إليه بخار الخل فإنه ينحل في ثلثة أسابيع وهو
يابس في الدرجة الثانية بارد في الأولى وقيل حار فيها لطيف جداً

قال نصر الجوهري : إذا ذهب ماء اللؤلؤ وكدر فنبني أن يودع إليه مشروحة
وتلف الآلية في عجين مختصر ويجعل في كوز ويحمى عليه فإذا خرج دهن بالكافور .
وقال أبو الريحان البيروني : إن ما كان صهريه من قبل الطيب فيجعل في قدح مطين فيه
صابون ونورة غير مطوية جزآن متساويان ويصب عليه ماء عذب وخل حار ويُغلى في

نار لينة ولا تزال ترفع دفرة الصابون وتري بها الى ان تنقطع ويصفر الماء في القدح وبعد ذلك يُخرج اللؤلؤ ويُسل وان كان النخير في أديمه الى السواد فيُنتقع في لبن التين اربعين يوماً ثم يُنقل الى قدح فيه محلب وكافور وخروع اجزاء سواء ويوضع على نار فحم مقدار ساعتين بدون قنق عليها ثم يُنقى. وان كان السواد في باطنه طلي بشمع وجعل في قدح مع حشائض الاترج ويُبدل عليه كل ثلاثة أيام وتدام خضضته حتى يبيض. وان كان في اديمه صفرة تُنقع في لبن التين اربعين يوماً ثم يُنقل الى قدح فيه قلي وصابون وبُرق بالسروية ويُفعل فيه كما يفعل بالاسود. وان كانت الصفرة في داخله جعل في محلب رسم وكافور متساوية الاجزاء مدقوقة ثم ياب فوقها عجين وتوضع في مغرفة حديد وتُغمر بدهن الاكارع وتُغلى غليتين ثم تُخرج. وان كان امر اُغلي في لبن حليب ثم طلي بأشنان فارسي وشب يائي وكافور اجزاء متساوية تُدقُ ناعماً وتُعجن بلبن حليب ويُخبز في التور. وان كان رصاصاً تُنقع في حشائض الاترج ثلاثة أيام ثم يُسل بماء البيض ويُحفظ من الريح بالقطن. وذكر غيرها في تبييض القاسد ان يُلقى في خل ثقيف مع جبتي تنكار (١) وقيراط نوشار وحبة بُرق وثلاث حبات قلي مسحوقة ويُغلى في مغرفة حديد ثم ترفع المغرفة عن النار وتوضع في ماء بارد ويُذلك فيه بطلع اندراني مسحوق ناعم ثم يُسل بماء عذب ولا يبعد ان هذا العمل ينزع عنه قشره الاعلى او بعضه والتجربة خطر

﴿ القول في الزمرد (٢) ﴾ الحُضرة تسمى أضافه كلها وافضاه ما كان مشبع الحُضرة ذا رونق وشماع لا يشوبه سواد ولا صفرة ولا غش ولا حرمليات ولا عروق بيض ولا تغوث وليس يكاد يخاص عنها ودونه الريحاني الشبيه بورد الآس الرطب ودونه السلق الشبيه بورد السائر الطري واهل الهند والصين تفعل الريحاني مبيه وترغب فيه واهل المغرب يرغبون لما كان مشبع الحُضرة ولن كان قليل الماء. ويزداد رونقاً اذا دهن بزيت بزر الكتان واذا ترك بدون دهن يذهب مآؤه ويمتحن بالعتيق الحدد فان خدشه فهو من اشباه الزمرد. ومعدنه بفتح جبل قرشده من ارض البجاة

(١) التنكار مركب من الصودا والبورات (tenkal, soude boratée)

(٢) اطلب الفصل الذي خصه المشرق كليمان. وله في هذا المدن (راجع المجلة الاسبرية

يصعد مصر الاعلى واكثر ما يظهر منه خرز مستطيلة ذات خسة اسطحة ويسمى اقصاباً وثقبه يشبه بركس اللؤلؤ وظهر في زماننا هذا من هذا المعدن قطع لم يُسمع بمثلا في العظم ما يقارب زينة من ونحو ذلك والمشهور ان الدهنج يكدر الزمرد اذا ملئه (مئة) ويذهب روقه وهو الآن بدون القيمة التي كانت في القديم بخلاف سائر الجواهر وما ذلك الا لكثرة . فان ابا الريحان البيروني حكى ان زنة نصف مثقال من الجيد منه يساوي الف دينار وقيل ان منه صنف (صنفاً) يعرف بالذبابي لانه يشبه الذباب الطاوسية التي تكون في المروج وان من خاصية هذا الصنف ان الاقاعي اذا نظرتة تسيل اعينها . وانا الى الان لم ار هذا الصنف ولكنني امتحنت الريحاني والسلي في هذا الامر فلم يصح ولا تغيرت عين الاقاعي وخاصية الزمرد النفع من السموم المشروبة ونهش الاقاعي ولذع العقارب يؤخذ من سحبه تسع شعيرات ويجد شاربته في بدنه وجعاً غليظاً والحلأ في قوته ثم يفتق وقد انتفع ويوقف الجذام في ابتداءه ويقطع الاسهال المزمن ونفث الدم شرباً وتعليقاً ويقوي المعدة وينفع الصرع تليقاً وامساكه في الفم يقوي الانسان والمعدة . وان عانى على فخذ الطالوقه اسرعت الولادة وادمان النظر اليه يحاوي البصر ويحده وطبعه بارد يابس

في القول على الزبرجد (١) هو صنف واحد فستقي اللون شفاف لكنه سريع الانطفاء لخواصه وقيل ان معدنه بالقرب من معدن الزمرد ولكنه مجهول في زماننا هذا ومع ذلك فقيسته نحو قيمة البنفس وطبعه حار يابس وتقرب مناسفه من منافع الزمرد ويدفع شر العين

في القول على الفيروزج (٢) . معنى اسمه بالفارسية الزهر ولذلك يسمى حجر القلب ويسمى ايضاً حجر العين لان حامله يدفع عنه شرها والمشهور عنه انه يدفع الصواعق وهو حجر ازرق اصلب من اللازورد يجلب من اعمال نيسابور وكلمه كان ارطب فهو اجود والمختار منه ما كان من المعدن الازهري والبوسحاقي لانه شبع اللون صليل

(١) الزبرجد يوافق الصنف المعروف باسم بريل (beryl) (راجع المجلة الاسيوية JA. 1868, 67)

(٢) الفيروزج (بالفرنسية turquoise) مشتق من الفارسية فيروزه (راجع المجلة الاسيوية JA. I. c., 150)

مشرق ثم اللبني المعروف بشير قام ثم الاسمانجوني الفتيق . قال ابو الريحان : اعظم ما وُجد من الفيروز وزن مائة درهم ولم يوجد من الخالص منه غير المختلط بشي . غيره ألا وزن خمسة دراهم وبلغت قيمته مائة دينار . قال الكندي : وقد كرهه قوم بسبب تغيره بالصح والغم والرياح وتغير الروائح الطيبة له واذهاب الحام لانه واماتته بالزيت . وكما انه يموت بالزيت فانه يحيا بالشحم اولاً لانه يحالج بان يجعل في ايدي القضاين

قال ابن زهر : ان الملوك تعظم هذا الحجر لانه يدفع القتل عن صاحبه ولم ير في يد قتل قط ولا في يد غريق واذا شرب منه تنفع لدغة العرب . وقال الغافقي : انه بارد يابس . وقال ديسقوريدس : انه يقبض تنور الحدة وينفع بثرها ويجمع حجب العين المنحرفة ويجلو الفسادة . قال ارسطاطاليس : انه ينقص من هبة حامله . وذكر هرمس انه اذا نقش عليه صورة طائر في فيه سمكة وجعل في خاتم وتحت شي . من خصى الثعالب ويكون القمر وعطارد في النور فان حامله يقوى على الجملع وترداد شهرته له . وقال ابن ابي الاشعب : انه يقرى القلب الا انه دون الياقوت ووجدت نقلاً عن بعض الاطباء . انه اقوى في تقوية النفس من سائر الاحجار

﴿ القول في البؤر (١) ﴾ يجلب من خزائن الزئبق ومن كشير ومن فواحي بنخشان وله معدن يبدليس ومعدن بارمينية ويجلب ايضاً من سرنديب ومن بلاد افرنجة ومن القرب الاقصى ومنه ما يلتقط من البرادي وقيته بحسب ما يعمل منه من الاراني وحن صنعها . ووجد منه قطعة زرنتها مانتى (مانتا) رطل بالبراقى وافضله المستنطق من بطن الارض ويكون ساطع البياض كثير المائنة رزياً حلياً بحيث يتدح منه النار ويخدش كثيراً من الجواهر بخلاف الملتقط من ظاهري الارض . ومن خاصيته ان من علقه عليه لم ير مثماً يفرعه ورأى احلاماً حسنة ويسقى منه مثقال بلبن الآن لاصحاب السل فينفعهم وينفع الرعشة تعليقاً

(١) البؤر نوع من الزجاج ألا انه اصلب والفرنج يدعونه (quartz hyalin, cristal)
(اطاب المجلة الاسيرية ٢٣١، ١٨٦٨)

﴿ القول على الجَمَز (١) ﴾ ويقال جَمَسْتُ هو حجر يشبه الباقوت البنفسجي واعلاه ما غلت عليه الوردية ومعدنه بقية الصفراء بالحجاز ويوجد مقشئ بياض كاللج على وجهه حمرة ووجد منه قدر الرطل واكثر . ينفع وجع المعدة تطبيقاً والشرب بآتيه . يُبطل بالسكر وقبته رخيصة

﴿ القول على الدَفْنَج (٢) ﴾ هو حجر رخو شديد الخضرة تلوح فيه زنجارية وفيه خطوط سود دقاق جداً وربما شابه حمرة خفية ومنه طاووسي ومنه موشى وقيل انه يصفو بصفاء الجو ويكدر بكدرته ومنه فرندي وهو افضل اصنافه ومنه هندي ومنه كرمانى وخراساني ومنه كركي ومنه مغربي . والمند ترى انه ضرب من التوتيا ويكون رخواً وقت اخراجه من معدنه ثم يزداد صلابة . وقال ارسطوطاليس : ان شرب منه شارب السم نفعه وان شرب منه من غير سم كان سماً وقد وثق عامة الناس من البرندي انه يحار بياض العين جلاء حناً

﴿ القول على اليَثَب (٣) ﴾ ويقال يَثَمُ منه مجارب من بلاد الترك من ناحية خُتَن (١) والوانه ابيض راحر وزيتي وهو انضاهما ومنه مستخرج من واديين يسمى احدهما قاش ويستخرج منه ابيض فائق ريسى الآخر واقاش والمستخرج منه كدر . وربما خرج منه شيء اسود ولا يوصل الى معدنه وانما السيل يخرج به والقطع انكبار للسلك والصغار للرعية . والترك واهل الصين تتخذ منه مناطق وحلية لليوف والروج حرصاً على الثابة . وزعموا انه يدفع الصوائق وجرب من الاحمر والزيتي انه ينفع وجع المعدة تطبيقاً عليها وينفع اوجاع الاحشاء .

(١) الجَمَز ويقال جَمَسْتُ وجئت هو المدعو عند الاوربيين باسم (améthyste) (اطلب المجلة الاسيوية 185, ib.)

(٢) الدَفْنَج من الفارسية دَفَنَه يعرفه الفرنج باسم ملاشيت (malachite) (اطلب المجلة الاسيوية 185, ib.)

(٣) اليَثَب ويقال يَثَب ويثب ويثف نوع من الحجارة الكريمة يُدعى بالفرنسية (jaspé) ويشبه اليَثَم المدعو عند jade وقد جمع هنا المؤلف بينها (اطلب المجلة الاسيوية 222 et 226, ib.)

(٤) خُتَن مدينة من بلاد ما وراء النهر من بلاد تركستان

﴿ القول على الفاذهر (١) ﴾ ويقال باذهر ومنه معدني ومنه حيواني والمعدني منه ابيض واصفر واخضر واغبر ومنكته وهو افضلها ومعادنه بالمعد والطين والخالص منه اذا ألقي من سحائه شيء في لبن حليب جئده ويعرق في الشمس وهو نافع من جميع السوم ومقدار ما يشرب منه اثنا عشر شعيرة فيخرج السم بالمرق من الجسد واذا وُضع على لسع العقرب والزبور تقع هماً يئناً واذا نثر سحائه على موضع اللسع اجتذبت السم منه وجُرب انه اذا نقش في فصر منه صورة عقرب والقرب في العقرب في احد اوتاد الطالع ورُكب على خاتم ذهب وطُبع به والقرب في العقرب على درهمين كئندد مضموغ فانه يشفي من اسة العقرب شرباً. واما الحيواني من البازهر فانه يتولد في مراتز بعض الايمانل بارض شنكاره من جبال شيراز كما يتولد حجر البقر في مراتزها واكثره بلوطي الشكل لونه من الخضرة والغبرة ويقام طبقات بعضها فوق بعض في السن من هذا الحيوان حتى يبلغ زنة البارطة منه عشرة مثاقيل مع خفته وهو جوهر شريف يقام سائر السوم شرباً اذا شرب منه من داتق الى نصف درهم يُسحل على السن بالام القراح وسحائه الخالص يضاء وربا تميل ال حمرة خفية والفسوش منه سحائه تميل الى خضرة او صفرة واذا تقدم انسان باستعماله على الاحتياط وشرب منه في اربعين يوماً متوالية كل يوم وزن داتق لم يضره ما يورد على بدنه من السوم وينفع المجذومين نقعاً بليغاً ويحلو يياض العين والكآف والشمس جلاء وحياً ومجلى ممثّل الدواب واسر بولها سريعاً

﴿ القول على الحُرثوت (٢) ﴾ ويقال ختر قال ابو الريحان البيروني: هو حيواني يقال انه يؤخذ من جبهة ثور يكون في نواحي بلاد الترك بارض جرخيز ويقال بل من جبهة طائر عظيم يسقط في بعض تلك الجزائر وهو مرغوب فيه عند الترك واهل الصين يزعمون انه يعرق اذا قرب من طعام مسوم. قال الاخوان الرازيان: خيره العقرب الضارب

(١) الفاذهر ويقال بادزهر وبزهر (bézoard) ومعناه بالقارسية ضد السم. مدن شهر عند العرب ينسبون اليه قوة في ابطال السم (اطلب المجلة الاسيرية ١٤٥-١٤٦ و ib.). واليوم لا يتجره الاطباء والعلماء المحدثون في شيء من ذلك
٢ لم نجد ذكرًا للحُرثوت في كتاب التيفاشي. ويؤخذ من وصفه هنا انه من الحجارة التي نُسبت اليها الامور القريبة غير الراحنة

من الصفرة الى الحمرة ثم الشمشي ثم الضارب الى الكهوبة وكان في القديم ما كان
وزنة مائة دينار الى مائة وخمسين ديناراً وجُرب مع دخان بخور الله يرفع البواسير قطعاً
يليقاً

ولكن هذا آخر هذا الكلام في هذا الكتاب واقتصرت على ذكر هذه الجواهر
لانها النفيسة التي تذرهما الملوك والاكابر وتتعلّى بها الفرائي ومتافها جلية ولم أطال
فيه القول بكيفية تولدها لعدم الفائدة في ذلك ولا ذكرت ما يلحق بها مثل المرجان
والسج ونحوها لتزول رتبتهما من هذه الجواهر النفيسة (١)
وقد آن ختم الكتاب بحمد الله تعالى والصلوة على نبيه محمد سيد المرسلين وآله
وصحبه الطاهرين وحسبنا الله ونعم الوكيل

البادية والحيرة في عهد بني أمية

خطبة القاها حضرة الاب هنري لانس اليسوعي في مؤتمر المشرقين في كورنباغن

من أعمال النظر في أوّل تاريخ الاسلام يأخذه العجب من حالة العرب بعد
الفتح عند احتلالهم البلاد المصّرة فأنهم رأوا فيها انفسهم كالتريب الذي اعتاد
سكنى وطنه فلا يطيع العيشة في غيرها. وكذلك العرب فإن مدن الشام مع سعتها
ضاقت عليهم بعد توطنهم في البرادي يتجولون فيها كيف شاؤوا وكان عمر بن الخطاب
أشهر بما لقيه العرب من الجهد والعناء في سكنى المدن فاراد ان ياشي لهم في العراق
على طرف الصحراء. وساكرية طنونها ليعتادوا التحصير والعيشة المدنية تدريجاً كما يؤخذ
من روايت فتح البلدان للبلاذري. وليس البصريتان في العراق اي البصرة والكوفة كما
القساط في مصر سوى مقامات كهذه متوسطة بين الحضر والبدو

والحق يقال ان العرب الاولين بعد خروجهم من مواطنهم البدوية واحتلالهم
الامصار كانوا يسيرون الى البادية. ويحترقون الى نوقا ليرتقوا من ألبانها وذلك ما كانوا

(١) هذه هي الجواهر التي وصفها المازن وفي اوصافه انادات لم تقدمها في كتاب الثيفاشي.
بل ان الثيفاشي ذكر ايضاً حجارة كت عنها صاحبنا اخصها العقيق والميزع والمتايطيس واللازورد
والمرجان والسجادج والسج

يدعونه بالبيعة اي شهرة اللبث وأن لا يصبر عنه الانسان . وقد جاء في الحديث النبوي انه كان يتعزذ من البيعة (١) فكانت البيعة كالداء المعروف في أيلنا بداء الوطن (nostalgie) . ولنا على ذلك شواهد عديدة . وما يروى عن الشاعر الصحابي تائفة الجمدي (٢) انه بعد ما قضى امراً في المدينة الح على عثمان بأن يرخص له في الرجوع الى قرمه « ليلحق بابل ويشرب ألبانها » قال له عثمان : اترتباً بعد الهجرة يا بابل لي ليس ذلك من الصواب . لكن الجمدي زاد الحاحاً في طلبه لما كان يحده من المشقة في الحضر حتى انه كان « منكراً لنفسه » لا يكاد يعرف فيها شدتها السابقة (٣) . فني انكار عثمان على التائفة فعلة نظر لأن الخليفة كان يحسد في شوق العرب الى باديتهم خطراً على الدولة اذ أنهم ارجعوا الى مضاربهم لدلوا عن ضبط الامصار وأنقوا الجهاد فيقوى عليهم اعداؤهم ويسترجعون منهم الامصار التي فتحوها بعد الحروب الطويلة والمشقات المضية . فلافاة لهذا الخطر امر الخلفاء الراشدين بالألا يدفع العطاء لغير المهاجرين . وفي صحيح البخاري (٤: ١٨٥) ان الحجاج اخذ على بعض الصحابين في زمانه اعتراهم عن المدن . وكذلك في أيام عتد كان الصحابيون اذا سألوه الرجوع الى البادية لم يرخص لهم بذلك إلا بعض الرضى منهم (٥) حتى ان انكبة الاولين كانوا يفرقون بين العرب والمهاجرين فيدعون ساكني المدن بالمهاجرين وسكنة البادية بالعرب ومنه قول القطامي في اتفاق العرب على تدويد ربيعة :

فليس من الاحياء الا مسرد ربيعة اعرابيه ومهاجرة

ولنا في تفضيل العرب للبادية على الحضر عدة شواهد في تاريخ النهضة الاسلامية فمن ذلك ان بني كلب لما طردتهم قيس من مفاوز الحاة والجأهم الى سكنى سواحل الشام كانوا يعدون نفوسهم هناك كالتفين يتوفون الى مواضعهم البدوية . قال زفر ابن الحرث :

(١) راجع كتاب تصحيح المحدثين من مخطوطات المكتبة الحديريّة .

(٢) اطلب كتاب الاغانى (٤: ١٢١) .

(٣) ومن الشواهد المثبتة لذلك قول عمر : ان العرب لا يصاحبها الا ما يصلح الابل (البلاذري ص ٢٧٦) .

(٤) اطلب صحيح البخاري (٤: ٢١٧) وصحيح مسلم (٢: ١٢) .

يا كلبُ قد كلبَ الزمانُ جُلكمُ واصابكم في عذابٍ رسلُ
انَّ السماوةَ لا سِماوةَ فالتعقُ بالذور فالانعامُ يسرُ الموتُ
فجنوب عكا فالواحل انما ارضُ نذوبُ جبالُ التناحُ وحزلُ

وكانت هذه القبائل تُعدُّ واحةً دومة الجندل الفناء وعاصمة الشام نفسها لقربها
من الذرطة كنازل وبيئة تنهلك حُمَيَّاتها قواهم . قال الاخطل :
كرمن ذباب دومة اذ غاما غداة تشار للموتى القبورُ

وقال : « فلو كنت مصحوبا بدومة مدنتها . . . »

وقد جرى مثل ذلك للصحابيين الذين هاجروا الى المدينة فسكنوها مع محمد
وتأذوا من هوانها . وكذلك الساية التي نزلت في سواد العراق بعد الفتح الاسلامي
كما روى البلاذري (ص ٢٧٥ و ٢٧٦) قال : « فاصابهم البعوض فكتب سعد الى
عمر يسله انَّ الناس قد يُبْخِضُوا وتأذوا بذلك . فكتب اليه عمر : انَّ العرب بمنزلة الابل
لا يصلحها الا ما يصلح الابل »

ومن عجيب الامور انَّ اعراب البادية حتى يومنا هذا لا يطبقون سكنى الامصار
فاذ احتاروا تأذوا من تورطها كما شهد الرُحَّالون عن عرب شبه جزيرة سينا وغيرها . ولو
استفهام احد في ذلك لأمكنهم ان يجيبوا كما اجاب ابن ميادة للخليفة الوليد
(الاغاني ٢ : ١٠٩) : « لنا باصحاب عيون يأكلنا بها البعوض ويأخذنا بها الحيات » .
فكان اهل البادية منذ ذلك الحين شعروا بما اكتشفه العلم في زماننا بانَّ البعوض اكبر
ثقال للحيات وهذه المرام تكثر حيث تتوفر الزدروعات وتستقع المياه . وذلك ما كان
يحدو بمارك الحيرة ان يرثوا اولادهم في اواسط جزيرة العرب بعيدا عن المدن المضررة
ليسلوا من مساوى الارضة . وكذلك الاكسرة كانوا يسلمون ولاية عيدهم الى
الذين ليتخرجوا في آداب اهل الروم في تصورهم التي ابتورها على طرف البادية
كالخردق والسدر وغيرها من القصور اتخذها اصحاب الشام كأمثلة حذوا حذوها فبنوا
قصر المشتى وشيد بنو امية تلك الابنية الشاهقة التي ظهرت آثارها مؤخرأ . لأن غاية
ما كان الاعراب يخافونه سكنى الريف كما روى الجاحظ عن بعضهم في كتاب الحيوان
(١ : ٨٣) :

فأياكم والريف لا تغربنه فانه لذي الموت والمتم قاضيا

ولما جعل معاوية كرمي ملكه في الفيحاء وترتب على الامويين ان يتخذوها
« كالنير الغربي » لم يزالوا ينجثون الى مناوئ البادية ولعلهم لم يكتبوها مطلقاً لولا بيمة
الحلاقة . وفي واقع الحال لا ترى من بني لمية احداً اطال الاقامة في دمشق الأموية
وعبد الملك . أما الآخرون فكانوا يأتون الكنى فيها فيسرعون الى السداء ولاسيا
الوليد بن يزيد قال ابن عبد ربه (٢ : ٣٥١) : « لم يدخل مدينة من مدائن الشام حتى
قُتل ولم يزل يتنقل ويتصيد »

وكان الامويون يمتدون البادية ايضاً ليحافظوا على فصاحة العربية فلا يفسد لسانهم
برطانة اهل المدن . وقد اختبر عبد الملك الامر بابنه الوليد فان ابن عبد ربه روى عنه
(٢ : ٣٣٣) : « انه تراخى في تأديب ولده فكان لحناً . وقال عبد الملك : اضربنا في
الوليد حبناً له فلم نوجهه الى البادية » . ولما خلف الوليد اياه لم يشأ ان يكون ابنه
روح مثله فأقره بين القبائل . (قال) « فنشأ في البادية فكأنه اعرابي » . وعلى هذا
الموال صارت البادية كندسة الامراء . وبالأجمال يمكن القول بان الطبع الفرزي
والوراثة الجدئية كانا يحسلان العرب على الرجوع الى منشايمهم فيخرجون الى البادية
غاية امكانهم وذلك في الشام كما في العراق وفي مصر كما في الحجاز . فان عبد العزيز
أخذ له في مصر بادية فجعلها في حلوان وكذا كان يفعل العلويون في الحجاز بنحورهم
الى المساكن البدوية .

✱

تلك كانت عادة العرب في اول ظهور الاسلام قائمهم كانوا اذا شعروا بقدم
الشتاء يتوغلون في جهات الجنوب طلباً لحرارة الشمس . وذلك ان شيوخ القبائل
عند اشتداد القيظ واستيلاء الجذب على البادية كانوا يقتربون من الريف ويطلبون
منتجاً لرغية مولسيهم عند مياه معلومة . فاذا جاء الربيع واكتست الارض بزخاريا بعد
هطل الامطار عدلوا عن الحضارة الى الكلا في مواطنهم فوجدوا فيها ما يكفل بارزاقهم
ويقوم بمأش ابهم فيطلقون سراهما فتسن ولا تحتاج الى ورد المياه وتكثر البانها
فيقتات منها اصحابها فضلاً عما يلقون اذ ذاك من الكساء واحرار اليعول . اما اشرافهم
فكانوا ينتظرون نهاية الامطار فيرحلون الى البرية ويدعون ذلك التبدى فيقضون بقية
سنتهم في الصحاري

فلما استولى الأمويون على سدة الخلافة في دمشق انتسروا بأهل جلدتهم فأتخذ كل منهم له بادية أو مصيفاً يمتزلون فيه عن ضوضاء المدن وكان أقارب الخلفاء يأقنون بثلمهم قال الطبري في تاريخه: «كان الخلفاء وابناء الخلفاء يتبدون (وفي الاصل يتبدون وهو تصحيف) ويهربون من الطاعون فيزلون البرية» وفي الاغاني (١١٣: ٦): «خرج يزيد ابن عبد الملك الى قرين (والصواب فدين) مبتدئاً (والصواب مبتدئاً)»

اما النواحي التي كانوا يجأرون فيها فكانت غالباً في بادية الشام أو ما كان مجوارها. فانّ ماوية كان يشتر بالصنبرة في الاردن مقابل لعة (١) وكذلك عبد الملك سكن الصبرة مدة. الا ان أكثر الامويين اتخذوا لهم منازل في بادية الشام كما روى صاحب الاغاني والطبري وابن عسّار فانّ هؤلاء الرّخين وغيرهم ايضاً لا يكادون يذكرون خيفة منهم الا ذكروا ايضاً تبدية. فان يزيد بن ماوية كان يقضي معظم سنته في حواريين (٢) وسكن ابنه خالد في الباقا في قصر فدين حيث كان ايضاً سيد احد اقاربه. وكان عبد الملك بعد رجوعه من الصنبرة يقضي شهر اذار في الجابية وكان له منته آخر في درمة الجندل. وكان خلفاء عبد الملك مواظبين على التبدية الا عثر بن عبد العزيز الذي سكن بلدة خناصره

اما منزل الخلفاء في البادية فكان يختلف فمنهم من كان يكفي بضرب الحميم والسكن في المخارب كما اخبر اسحق بن زياد (الاغاني ٣٥٠: ٢) عن هشام بن عبد الملك انه وجدته نازلاً في قاع صحصح في سرادق من حبرة وفي السرادق فسطاط فيه اربعة افرشة من خز احمر. لكن تلك المنازل انما كانت موقفة فلم يرض بها الخلفاء. فآثروا بناء الدور الرجة والقصور الجميلة والمرجح ان بعضهم لم يعدوا الى ابنية جديدة واكتفوا بان اصاحوا ما وجدوه من الابنية القديمة في طرف البادية حيث كانت تحوم الرومان لاسيما ان تلك الباني كانت قريبة من المياه مجاورة للمراعي تمر عليها القوافل ذاهبة وآتية فلما تولى بنو امية امر الشام عادوا فرحموا تلك البنايات وسكنوها

(١) اطلب معجم البلدان لياقوت (٤١٦: ٣)

(٢) اطلب المشرق (٩٠٦: ٩)

فن المراضع التي تزلها الامويون المقور وهو حصن بالبلقاء سكنه يزيد بن عبد الملك وكان دمه وزينه فجعله من القصور الجميلة فلما ملك بنو العبّاس وأبادوا آثار الامويين اخبروا في جملتها قصر المقور . قال ابو نجيله يمدح بني العبّاس :

وأُستَ الأتبارُ داراً تُعمرُ وُخربت من الشام أدورُ
حصنُ وبابِ البين والموقرُ ودُمّرت بعد امتناع قديمُ

واستقر الوليد بن يزيد في « قسطل » موضع قرب البلقاء من ارض الشام وخلفه فيه عمه العبّاس . وكان الوليد يستوطن ايضا الزبارة من قرى البلقاء وقصر الازرق في البرية كما روى صاحب كتاب الميرون والحدائق (ص ١٢٠) اما قرين التي ورد ذكرها في الاغاني (١١٣:٦) كمثزل من منازل الامويين فليست هي المقور كما زعم الدكتور موسيل (Quseir Amra, 1958) والاصح انها تصحيف قدين بتخفيف الباء وقد رواها صاحب معجم البلدان (٨٥٨:٣) بالياء المشددة وال التعريف . وقدين هذه قصر قريب من حصن الازرق كان اولاد الخليفة عثمان يسكنونه وبقي في ايديهم الى زمن بني العبّاس (راجع كتاب الميرون والحدائق ص ١١٨)

ولا يسعنا هنا ان نسكت عن امر رواه الدكتور موسيل في وصفه انصير عمرة وبلاد موآب (ص ١٥٧) وقد قال هناك ان هذه القصور القديمة التي توقفت الى اكتشاف بعضها عرفت ايضا باسم الحيرة ويسند قوله الى بعض نصوص الطبري (٢ : ١٧١٥) حيث يروي المؤلف بان عبد العزيز لما قام من دمشق ليقول الوليد « عكر بالحيرة » فزعم الدكتور موسيل ان الحيرة هنا يراد بها القصر او منزل الجند لكن الكاتب لم يطلع على رواية اخرى اضبط من هذه الرواية وهي « الحيرة » كما رواها صاحب الميرون والحدائق . وقد افادني جناب الدكتور مورتس ناظر الكتبخانة الحديرية ان الترك يدعون اليوم قصر الزبارة بالحيرة غير اني لا ارى بدا من الفرق بين الزبارة والحيرة لان الزبارة من الاعلام القديمة التي لا يمكن القول في تصحيفها . ثم ان قرية الزبارة كانت بعيدة عن طريق عبد العزيز في خروجه على الوليد والرجح انه سار بجنده على الطريق الرومانية التي تمتد من بصرى الى الازرق (١) لتصرها واستقامتها

ميرما . وفي هذه الطريق بين بصرى وادرعات موضع (١) اسمه الجيزة فتكون هذه الرواية هي الصحيحة دون غيرها

ومع ما قلناه من تصحيح الجيزة بالحيرة لنا لشكر أن رأي الدكتور موسيل قريب الى الصواب اعني اطلاق اسم الحيرة على منازل البادية حتى بعد عهد الامويين . ويقرّب هذا الرأي كون العرب دعوا الحيرة والنكوة بالحيرتين (ياقوت : معجم البلدان ٣٧٥:٢ وتاج المروس ١٦٦:٣) . وكذلك ترى بين اعلام الامكنة الواقعة في العراق في حكم اللخمين عدة مواضع عرفت باسم الحيرة ذكرها الكتبة (اطلب سادة الحيرة في ياقوت وتاج المروس)

ويؤيد ايضا هذا الرأي استعمال العرب للفظ الحيرة اطلقوها على الحسى ومحلة الجيش . وفي معجم البلدان (٣٧٥:٢) « ان الحيرة الحيرة المني » وافادنا ايضا ياقوت ان الحليفة المتوكل دعا قصرًا بناءً في سرمن رأى باسم الحيرة . وفي تاريخ تافانوس ان العرب لما ساروا الى محاربة الروم كانوا نازلين في مكان دعاه Hpxv يوافق لفظه لفظ الحيرة وهو يجعله في النحاء فلسطين . ومن المحتمل ان هذا الاسم يدلّ فقط على مقام محصّن ليس على مكان معلوم

ويزيد على هذا القول اثباتاً ما رواه السشرق العلامة تذك في كتابه عن مارك غسان (Ghassaniden Fürsten, 47-49) قال : ان رؤسا قبائل غسان كانوا يسكنون في احياء قسم منها ثابت بالبناء والمدور وقسم آخر غير ثابت من جنس المضارب والحيم كانوا يقتلونهم من مكان الى آخر للدفاع عن التخوم وحراستها . وكانوا يدعون تلك الاحياء باسم سرياني مألوف قال ومنها اشتق العرب اسم « الحيرة » . وما كانت البادية عند بني أمية الا احياء كهذه تصلح للسكنى ويسهل التنقل منها . وبما اشتهر عند النصارى من ذلك محلة الجابية التي كانت جامعة بين صفات المحلات والمدن وبين خواص الحضارة والبرية ولذلك كان العرب يفضلونها . وفيها تولت الجيوش الاسلامية قبل واقعة اليرموك وهناك خطب عمر بن الخطاب خطبته المشهورة . وباب الجابية يدهش منسوب الى هذا الموضع (ياقوت ٣:٢)

(١) راجع الكتاب منه (38 ; II ;) والمجلة الفلسطينية ZDPV , Schumacher (XXV , 135)

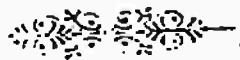
قلنردن الآن الى كلامنا عن بادية الامويين . فانهم لما احتلوا تلك الباني التي سبقهم الى تشييدها الروم زادوها جمالا بما احدثوا بها . من القاصير وزينوها بالخفاف والمجسات فالتخذوا الخيامات وجعلوا فيها الاحراض وشيدوا لها المخابر والمليات وازدانوا المعاهد بالنفوس والتصاوير كما ترى في قصير عمرة . ولم يدعوا شيئا من طيب المعاش وهنا السكن الا اعمدوا اليه . فاضحت تلك المنازل كالقصور التي تصلح للسلوك ونما يدل على شهرة تلك المقامات ان بني العباس حاولوا هدم آثارها لئلا تبقى كشاهد على عظمة الامويين وذلك ما فعلوا خسرنا بقصر القور كما سبق القول

ومن راجع كتاب الاغانى لابي الفرج واعتبر اوصافه للبادية يتحقق بان منازل الامويين لم تكن ثم مفردة بل كان يحدق بها عدة ابنة لاحقة بها منها بيوت ودور كدار الضيفان وبيت الحرس . ولا يبعد انهم اتخذوا ايضا علات للجند والحيل . ومجمل القول ان البادية كانت كدسكرة فيها المخابر والمباني ومنازل الجند ومساكن حاشية الامير واهله . وكان الخليفة يقضي هناك ايامه في الدعة والسكينة بين اصحابه ويمشي بلا تكلف . فان كتاب الاغانى يقول عن سليمان بن عبد الملك (٤: ٦١) انه « كان في بادية له يسر على ظهر سطح » وان الوليد بن يزيد استقبل قوما في دار واسعة وتمدد احد جلسائه بان يرمي به منكباً من فوق القصر (اغانى ١: ١١٤ و ١٧: ٩٩) . وقد ذكر في محل آخر انه « كان على بناء كان بناء في عسكره يشرف به » وقد جاء ايضا في وصف ابنته ذكر الرواق وذكر دار الضيافة وكل ذلك مما ثبت ان ابنة الخلفاء في البادية كانت واسعة واهلاً باللوك ويخبر عن يزيد بن عبد الملك انه ابنتى الابنية حول قصر القور وكان له في البرية عدة قصور يتنقل اليها ويتصيد كالزوا . وفدين والازرق والاعنف والجزء . وقصر الابيض في الرحبة والباقر (ليس ابانن كما تصحف في الاغانى ٢: ١٠٨) . وزد على هذه الامكنة عدة قصور وقف عليها الدكتور مرسل في سياجته الى مؤاب وكلها كما يظهر كانت في بوادي الخلفاء يرافق وصفها ما ذكره صاحب الاغانى في نصوصه

وقد بقي علينا ذكر قصر آخر كثرة في القال والقليل في هذه السنين الاخيرة زيد قصر المشي اطلب المشرق ١: ١٨١ و ١٠٧٧: ٥٧٧) الذي مرقمة في وسط القصور السابق ذكرها وهي تحديق به كحلقة الدائرة ولا غرو ان الخلفاء الامويين كانوا يعرفون مكانه حتى

المعرفة اذ كانوا يتجولون في بواديهم ويتنقلون بين قصورهم لاسيا يزيد بن عبد الملك والوليد بن يزيد . فيا ترى اليس هو الاجدر بالقول ان هذا البناء العجيب احد آثارهم الجليلة . فان الامويين كانوا يحبون البناء وتشيد القصور الشامخة أنلا يسوغ لنا القول بأنهم اقاموا لباديتهم قصراً كالشئى . وليس هذا بالمستبعد مع ما ظلم خصوماً من اخلاق بعضهم كيزيد والوليد المذكورين وكان كلاهما يحب الملاهي وبذخ العيش وقد اخبر العيني في عهد الجان عن يزيد انه قصد ان يبني في البرية قصراً ليعيش فيه مع جاريته حباة . ولعله فعل ومن المحتمل ان يكون القصر المنوي هو المشئى . وانما حال دون انقائه ما فُجى . به يزيد من موت حباة عشيقته ولم يلبث ان قُتل . هو ايضاً بعدها . انما ما نُجز من هذا القصر الجليل نهر آية هندسية تأخذ بمجامع القلوب وكل من يرى نقوشه البديعة في متحف برلين يقر لبنائه بحسن الذوق والقدرة على الاعمال الاثيرة

ان مسألة قصر المشئى من المسائل المويضة التي ما كنا لتجترى . ان نخوض عباها ونحن تعلم اختلاف آراء الكتبة فيها ألا ان بحثاً في البادية على عهد الامويين لم يسمح لنا بالكوت عنها . انما قولنا في اصحاب الاموي فليس هو حكماً باتاً وانما هو رأي عرضناه في مجلة المشرق سنة ١٩٠٧ في عددها الصادر في اول تموز في اثناء كلامنا عن تأليف الدكتور موسيل في مراب ونواحيها . وغاية ما نرغب ان يعود العلماء الى هذا البحث ويتبروا ما قدّمناه من الشواهد المتقولة عن كتبة العرب فلملهم يجدون فيها دلائل جديدة تثبت نسبة هذا البناء الفخم للدولة الاموية وتزيل الشبهات التي تحجب الحقيقة عن العيان . ان شاء الله



الأدب العربي

في القرن التاسع عشر

الجزء الثاني

بحث تاريخي انتقادي للاب لويس شيخو اليسوعي

الفصل الأول

الآداب العربية من السنة ١٨٢٠ الى ١٨٨٠

برينا شوطاً أوّل في عدّة مقالات كتبناها عن آداب القرن السابق فأدّى بنا سيرنا الى السنة ١٨٢٠ فوقفنا عند ذلك الحدّ مدّةً ريثما نجمع قواماً فنواصل الجري في هذا الميدان وهو لمعري مجال جديد يتسع امامنا فتزوّر ركبانه وتندو فتغرب الاحياء فرمائه ولولا ثقتنا بلطف القراء واملنا بغضهم النظر عن قدورنا كفتنا القلم وادقنا اليراع لئلا يشرب بنا عن سواء السبيل . فتستأنف العمل مع تكرار الرجاء بان يدّ إلينا الادباء يد الاسفاد وينبها فكرنا الى ما نهو عن ذكره ويصلحوا ما يرونه مخالفاً للواقع ليأتي هذا القسم اوفى بالمرام . ان شاء الله

كانت السنة ١٨٢٠ مفتحة طرر جديد في تاريخ نهضة الآداب العربية فانّ في تلك السنة جرت امور خطيرة قلبت بطناً لظفر احوال الدول الادريّة فكان لها ذمل انعكاس في انحاء الشرق فقامت العقول من رقدتها واستيقظت الافكار بعد سنها فانّ ذوي الحرب السبعينيّة طرق آذان الشرقيين فأسمعهم اصواتاً ما اعتادت عليها مسامهم فرأوا في طلب الآداب ودرس العلوم سداً حللهم ومنجاةً من خمولهم . وكان السلام سائداً والامن متوطداً في الممالك المحروسة لا شيء يورق رعاياها عن ترويح الآداب وانفاق سرقها لا سيما سرورية ولبنان فانّ الدعة والسكينة كانت قد مدت عليها رواقها بعد نكبة السنة ١٨١٠ واخذت الشيبة تترعرع وهشها الاعظم الترقى في معارج التمدن

وَعُدَّ في ذلك العام المجمع الروائكانى وفيه رأى ارباب الدين الشرقيون ترقى
اخوتهم الغربيين في العلوم فاجبوا مجاراتهم في ذلك المجال الشريف . وقد ساعدتهم في
تحقيق امانتهم المرسلون اللاتينيون الذين تضاعف عددهم في هذه البلاد فأخذوا يحدون
ويسمون بما عرفوا به من طرائقهم ليضوا في الاحداث الفيرة على احرار المعارف .
وكذلك المرسلون الاميركان فانهم افرغوا كنانة الجهد ليزرعوا في قلوب الشبان بذور
المعارف والعلوم المستجدة . وبأجدا لو اقتصرنا على هذه الغاية الشريفة ولم يتخذوا
العلم وسيلة لتقويض المبادئ الصحيحة ومناوأة الدين القويم

وبما اُخص به هذا الطور الذي نحن في صده انشاء مدارس عامرة لم يسبق لها
مثيل في الزمن السابق اخصها الكلية الاميريكية التي خرجت في ذلك الوقت من
مقاطات مهدا فشرع اساتذتها وفي مقدمتهم الدكتور فان ديك في تأليف او تعريب
قسم كبير من الكتب العلمية قدوة بالشيخ الطهطاوي بمصر فتحت ترجمتها بابا جديدا
طريقه الشرقيون لآحراز العلوم العصرية . وكانت المطبعة الاميريكية تذلل لهم الصعاب
في نشرها وبقيت تلك المطبوعات عمدا طويلا كاساس التعليم في الكلية الاميريكية
وبعض المدارس الوطنية حتى بعد قصرها عن بلوغ غايتها لاتساع نطاق العلوم سنة بعد
سنة فبقيت على قصصها حتى اضطرت عمدة المدرسة الاميريكية الى استئناف التدريس
باللغة الانكليزية

وكان النجاح الذي فاز به اصحاب الكلية الاميريكية باعثا للكاثوليك على مزاحمتهم
ليصنفوا ابنا ملهم من الاضاليل البروتستانتية . وكان اليسوعيون اول من تحفّز
لناهضتهم فمزّزوا مدارسهم الثانوية في غزير وبيروت وصيدا ثم جعلوا يطلبون ما هو
انجح وسيلة لبلوغ اربابهم بانشاء كلية في بيروت تباري كلية الاميركان وتقدم لابناء
الشرق مناهل العلوم صافية من كل دنس يكدرها . فابلت بعد اربع سنوات ان تسيّد
ابنية كليتنا الكاثوليكية ونقلت اليها مدرسة غزير سنة ١٨٧١ فالت من كرم الكروسي
الرسولي كل انماءات الكليات بمنح شهادات العلوم الدينية لمستحقها كما ان الدولة
الفرنسية اعتبرت شهاداتها بمثابة الشهادات الممنوحة في فرنسا لذويها

وفي سنة ١٨٧٠ نشر الآباء اليسوعيون جريدتهم البشير لناضة النشرة الاسبوعية
فصار لها رواج كبير ولم تزل تكبر وتتحسن حين تلو حين . وما قد مرّ عليها اليوم ٣٨

سنة وهي تدافع عن الدين مدافعة الابطال فصارت لان حال الكتلثة يرجع اليها ارباب الطوائف الكاثوليكية باسرمهم

وفي هذه المدة ايضا ترقّت المطبعة الكاثوليكية بهيئة رئيسها الميام الاب امبرواز موفو الذي لم يشأ ان تتخلّف عن المطبعة الاميريكية في شي. فاستجلب لها الادوات الجديدة وجهّزها بالمخترعات المستحدثة وارسل احد رهبانه الطيب الذكر الاخ الياس ماري الى عواصم اوربة ليدرس فنّ الطباعة على احذق الطّباعين فاخذ عنهم الاكتشافات الحديثة واستعان بها على تحسين الطباعة الشرقية في مطبعتا ومطابع البلدة. وكذلك تعلّم غيره من رهباننا فنّ الحفر وسبك الحروف واصطناع اهلها فاغزوا المطابع باشكال جديدة من الحروف العربية والسريانية وغيرها

وتعددت المطبوعات الدينية والعلمية التي ظهرت في تلك الاثناء من مطبعتا وكان اجودها حرفاً واتقنها طبعا انكتاب القدس في ثلاثة مجلّدت مزينا بالتصاووير والنقوش وكان الآباء المرسلون لم يذخروا وسعا في تعريبه عن اللغتين الاصليتين العبرانية واليونانية ساعدهم في تصحيح عبارة الترجمة وتنقيتها اللغوي البارع المرحوم الشيخ ابراهيم اليازجي. ثم اخذ مديرو المطبعة الكاثوليكية يبتنون بالكتب المدرسية وكانت قباهم غزيرة جدا لا يحل اليها الاحداث الا بعد شق النفس فترقّت الكتب التعليمية وزادت بذلك مدارس الشرق ترقيا ونجاحا

وكانت بنية الرسائل اللاتينية تسير سيرها الحثيث في نشر الآداب فاللمازونيون كانوا يكسبون ثقة الاهلين بحسن تعليمهم وتهذيبهم في مدرسة عين طورا ثم فتحوا في هذه الاثناء مدرسة اخرى في دمشق لا تزال عامرة. وكذلك الآباء الفرنسيسيون فتجروا مدرسة ثانوية في حلب علّمو فيها اللغات واصول الآداب

ولم تتأخر الطوائف الشرقية في هذه الحيلة. فانه تعيّن سنة ١٨٧٢ لكرسي بيروت على المارونة بعد الطيب الذكر طوبيا عون احد رجال العلم والعمل السيد المبرور يوسف الدبس فافرج الوسع في ترقية ابنا. دعي في معارج التمدن ففتح لهم في بيروت سنة ١٨٧٦ مدرسة الحكمة الشهيرة التي بنت فروعها ربقت افنانها وبنمت ثمارها الى يومنا هذا وكثير من المتخرجين فيها يتقلّدون الآن المناصب الجليلة ويخدمون وطنهم بنشاط عظيم. ومن مساعي الطيبة لتوسيع نطاق الآداب. طبعة العمومية الكاثوليكية التي

اشتراها من يوسف الشلقون شركة مع رزق الله خضرا فنشر فيها مجموعا ولساما من المطبوعات الدينية والادبية والمدرسية منها قسم كبير من قلمه وفي هذه المدة ثبت قدم جمعية المرسلين اللبنانيين التي أسسها الطران يوحنا حبيب سنة ١٨٦٥ فاخذت ترداد عددا وفضلا بهمة منشئها الفاضل

لما الروم الكاثوليك فان مدونتهم البطريكية بلغت في هذه الآونة اوج عزها بحسن ادارة رؤسائها وشهرة اساتذتها. وكان جل اهتمامها اتقان اللغة العربية بفرعها. وعني السيد البطريك غريغوريوس يوسف بانشاء مدرسة أخرى لابناء طائفته في دمشق فلم ادارتها كهيئة افاضل احكموا تديرها

وفي هذا الطور أنشئت مطابع جديدة كالطبعة السليمة لسليم انندي مدور ومطبعة القديس جاورجيوس للروم الارثوذكس ومطبعة جمعية الفنون. وقد ظهرت في كل هذه المطابع تأليف متعددة نشرت في المشرق اسماءها. وكذلك الجرائد والمجلات قد أنشئ منها ما راجت سيرة وكان الادباء في ذلك الوقت حاصلين على حريتهم لا يقيهم في نشر المطبوعات عاتق المراقبة. والجرائد تروي الاخبار كما تشاء. لا يتعرض عليها الا اذا خرجت عن طورها وتعدت حدودها. وقد سبق لنا ذكر مجلة الجنان التي انشأها المعلم بطرس البستاني وعهد بتحريرها الى ابنه سليم سنة ١٨٧٠ وفيها باشر مجريدين الواحدة اسبوعية وهي الجئة والثانية يومية دعاها الجئينة وهذه الاخير لم تطل مدتها. اما الاوليان فاشتهرتا خمس عشرة سنة فاكبتا الاسرة البستانيّة شهرة بفصولهما. وقد أنشئت سنة ١٨٧٤ جريدة ثمرات الفنون لصاحبها صاحب السادة عبد القادر انندي البستاني فخدمت مصالح الامة الاسلامية بلا ملل الى عامنا الحاضر. وبمدها بستين شرع الادباء شاهين ابكار يوس يستوب صرّوف وفارس غر من تلامذة الكلية الاميريكية ينشرون مجلة علمية صناعية زراعية دعوها المقتطف وادعروها كثيرا من المقالات العلمية وغيرها وبقيت تُطبع في بيروت الى ان توعت عن الجرائد حريتها فانتقل محرروها الى مصر وجروا فيها على خطتهم الحرة الى هذه السنة وهي الثالثة والثلاثون من اول ظهورها. وفي هذه المجلة من المنافع لا يُنكر لولا ان كتبها صرّوبا غير مرة ساهمهم للتعاليم الدينية والفلسفة ونسبوا الى العلم ما هو بري منه كما ينبت لهم الامر احيانا عديدة في جريدة البشير ومجلة المشرق

أما في بلاد الشرق خارجاً عن الشام فإن الآداب العربية فيها لم تخط خطوة كبيرة في هذه السنين المشر فلا زى لها من المنشآت ما يستحق الذكر. وإنما كانت المطابع المصرية وخصوصاً مطبعة بولاق تواصل اشغالها فنشر من التأليف القديمة ما كان يجلب الى الادباء درس اللغة وحرار فوائدها. وكذلك الاساتذة العلية فان صاحب الجوانب الذي مر لنا ذكره نشر في مطبعته قسماً حسناً من التأليف العربية القديمة كديوان البحري وادب الدنيا والدين وبعض مصنفات الثعالبي. ومثنى الخوري يوسف داود في مطبعة الدومنيكان في الرسل فإنه نشر هناك فضلاً عن الكتب الدينية عدة تأليف حسنة عززت في القلوب محبة الآثار العربية.

وفي هذا الطور أصبحت الآداب العربية ببعض التأخر في الاصطراع الادبية لا حدث فيها من المنازعات والاضطرابات السياسية. لكن هذه الحال لم تدم مدة طوية لأن الأمور بعد زمن اخذت في السكون والهدوء وعاد العلماء الى دروسهم بل اتسع خاؤها فامتدت في المائة وانكثرت وأنشئت كليات جديدة كان للغة العربية فيها الحصة المشكورة. وقد أنشئت جمعيات شرقية في ايطالية والنمسة بثت هم اهلهما على الدروس الشرقية فانتشرت بذلك الآداب العربية. وكانت المطابع الادبية تغني كل يوم لثنتا بقطوعات يخرجها المستشرقون من دقائنها ويحيونها بعد موتها تخص منها بالذكر مطبعة ليدن في هولندا التي ابرزت قسماً كبيراً من اجود تأليف قدماء العرب.

بعض مشاهير الادباء المسلمين في هذا الطور

كانت العلوم العربية في هذا الطور ارق شأناً عند التصاري منها عند المسلمين وإنما اشتهر بين هؤلاء بعض الافراد بماطوا للفنون الادبية من شعر ونثر وخلقوا منها آثاراً طيبة وما نحن نذكرهم على سياق سني هفتهم تنويراً بفضلهم (رفاة بك الطهطاوي) كان رفاة بك من اشراف طهطا من مدن الصعيد وبرتقي نسب الى فاطمة الزهراء. ولا ولد سنة ١٢١٦ (١٨٠١) كان الدهر اختى على اسرته فذاق في حداثة مرائر اليش ثم انتقل بعد وفاة والده الى القاهرة سنة ١٢٢٢ (١٨٠٧) وانتظم في سلك طلبة الازهر وطلب العلوم برغبة حتى روي منها واجبة اساتذته لاجتهاده وقدمه. وما خبره الى محمد علي باشا امام الدولة الحديوية

فأرسله مع غيره من الشبان الى فرنسا ليتلقوا فيها العلوم الادبية فدرس اللغة الفرنسية حتى احسن فهمها واستقى من مناهل المعارف العربية ما استلفت اليه الاطلاع وقيل كتاباً افرنسياً وسماه « بقلاند الفاخر في غرائب عوائد الاوائل والاواخر » فكان ذلك داعياً لتربيته في الأعمال فقلده محمد علي وظيفة الترجمة في المكتب الطبي الذي انشأه في جوار القاهرة سنة ١٢٤٢ (١٨٢٦م) فقتل الى العربية عدة تأليف افرنجية مستعجلة ثم مرّب في مدرسة الطوبجية كتباً هندسية وغيرها . وفي ١٢٥١ (١٨٣٥) ندب صاحب مصر الى رئاسة مدرسة اللسان الاجنبية التي عرفت بمدرسة الترجمة فاحسن تديرها حتى بلغ عدد تلامذتها ٢٥٠ . فجازاه الحديري بمنحه رتبة فائق ثم رتبة اميرآلاي وأرسل مديراً الى الخرطوم لقيادة مدرستها وتولى نظارة المدرسة الحربية في مصر . ولم يزل يتألب في الناصب وادارة المدارس والتعليم والكتابة . وكان رفاة بك لا ينقطع يوماً عن التأليف او الترجمة . وهو الذي باشر انشاء اول جريدة عربية في بلاد الشرق وهي الوقائع المصرية سنة ١٢٤٨ (١٨٣٢) . وتولى في آخر حياته ادارة جريدة روضة المدارس . ولوفاعة بك نحو عشرين كتاباً بعضها من تأليفه كحلتى الى باريس ومباحج الابواب المصرية وكتاب تاريخ مصر الحديث واكثرها من ترجمته كجغرافية مطيعون واخبار تلياك وهندسة ساسير ورسائل طيبة وله غير ذلك من التأليف والمقالات والمنظومات التي لم يطبع منها الا القليل . وقد رأيتاه كثير التصرف في ترجمة كتبه الا انه سبق اهل وطنه بتريب التأليف العربية فقال فضلاً بتقديم . وكانت وفاته سنة ١٢٩٠ (١٨٧٣) فرأه الحاج مصطفى انطاكي الحلبي بقصيدة مطلعها :

ألا ما لظرف المجد دام وداع على رجنة النبلاء عامر وماسع

الى ان قال مشيراً الى فحشي افندي نجل التوفي :

وكادت بيد الارض لو لم يكن بها له خاف بيبي الماسخ بارغ

(عبد التفار الاخرس) هو السيد عبد التفار ابن السيد عبد الواحد من مشاهير

شعراء العراق كان مولده في الموصل بعد السنة ١٢٢٠ (١٨٠٥م) ثم نشأ في بغداد

واتخذها موطناً وسكن جانب الكرخ وقرأ على الشيخ الالوسي كتاب سيبويه فاعطاه

به اجازة ثم درس العلوم العقلية والفنون العربية فاتقنها وتساوى فن الشعر فاجاد به

كل الاجادة حتى ان صاحب كتاب المسك الاذفر قال عنه ان اليه كانت النهاية في

دقة الشعر ولطافته وحلاوته وعذوبته. وكان مع ذلك في لسانه تلمح وثقل فدعي بالآخرس لسببه. قيل انه في شبابه كتب الى داود باشا والي العراق اياتاً يسأله فيها ان يأمر بمحالة لسانه قائلًا:

أَنْ اِيَادِيكَ مِنْكَ سَاجِدَةٌ عَلَيَّ قَدَمًا فِي سَالِفِ الْمُحْتَبِرِ
مَذَا لَانِي يَرْقُ ثِقْلٌ وَذَاكَ مَنَدِي مِنْ اعْظَمِ التُّوْبِ
فَلَوْ تَسَبَّبْتُ فِي سَالِحِي لَنَلْتُ اجْرًا بِذَلِكَ السَّبَبِ
وَلَيْسَ لِي حَرْفَةٌ سِوَى ادَبٍ جَمٌّ وَنَظْمٌ التَّرِيضِ وَالْمُطَبِرِ
مَنْ بَعْدَ دَاوُدَ لَا حَرَمْتُ مَنِي نَقَلْتُ قَدَمْتُ دَوْلَةَ الْاَدَبِ

فارسه الوالي الى بعض اطباء الهند فقال له: انا اعالج لسانك بدواء. أما ان ينطلق وأما ان يلحظك بمن مضى من سالف الجلود. فأبى ولم يرض بدوائه وقال: لا ابيع كلي بعضي. وكر راجعاً الى بغداد. وكان يتردد الى البصرة لما عرف في اهلها من السخا ومحبة الغرباء وله مدائح في أكثر اعيانها وفضلاتها وبها كانت وفاته سنة ١٢٩٠ (١٨٧٣م) كما ورد في مقدمة ديوانه وفي سنة ١٢٩١ على رواية السيد نعمان الالوسي. وكان له شعر كثير متفرق جمه احمد عزت باشا العمري بعد وفاة صاحبه وقد طبع هذا الديوان في مطبعة الجوانب سنة ١٣٠٤ (١٨٨٦م). فن شعره قوله يصف سفره من البصرة الى بغداد على سفينة بخارية:

قَدْ رَكِبْنَا بِرُكْبِ الدِّخَانِ وَبَلَّشْنَا بِعِاقَامِي الْاِمَانِ
جَيْتْ دَارَتْ اَفْلَاكُهُ وَاسْتَدَارَتْ فَعِي مِثْلُ الْاَفْلَاكِ بِالْاِدْوَانِ
ثُمَّ سَرْنَا وَالطَّيْرُ يَحْدُنَا بِالْاَسْرِ لَأَسْرَاعُنَا عَلَى الطَّيْرَانِ
يَحْقُقُ الْبَحْرُ رَهْبَةً حِينَ يَمْرِي وَالَّذِي فِيهِ كَانَتْ فِي اَمَانِ
كَلَّمْنَا اِبْدَ الْبَحَارِ بِمَرَى قَرَّبَ السَّيْرُ بَعْدَ كُلِّ مَكَانِ
أَتَنَنْتُ صُنَّةَ فُلَانَةٍ قَوْمِ وَمُفَوِّمٍ بِدَقَّةِ الْاِذْمَانِ
مَا اَرَامَا بِالْفِكْرِ اِلَّا اِنْسَاءً بَقِيَتْ مِنْ بَقِيَّةِ الْيُونَانِ
اِبْرَزُوا بِالْقَوْلِ كُلَّ مَجِيبٍ مَا وَجَدْنَاهُ فِي قَدَمِ الزَّمَانِ
وَبَنَوْا لِللَّيْلِ مَبَانِي مَلَاءَ عَاجَزُهَا صَاحِبُ الْاِبْوَانِ
فَلَهُمْ (١) فِي الزَّمَانِ مَلَمٌ وَفُخْرٌ وَمَقَامٌ يَلُو عَلَى كِيَوَانِ

وقد نظم السيد الآخرس قصائد عديدة في مدح عبد الباقي افندي الفاروقي. ورثاه بعد موته بقصيدة ارهاها:

(١) وفي الاصل: نهسوا وهو تصحيف، وكذلك قد تصحف اليه الخاس فاصحناه

مالي اودع كل يوم صاحباً
وأصارم الاحباب لا من جفوة
فأرقتهم ونداسي شهلة
اذ لا تلاقى بعد طول فراق
في ولا مترصاً لشفاقي
وجوانمي للبين في اوراق

الى ان قال :

فأرقت اذكي الملعن قريجة
ونقدت مستند الرجال اذا روت
قد كان متجبي وشرعة منلي
كانت له الايدي بطرفي جسا
واجلها فضلاً على الاطلاق
منه التفات مكارم الاخلاق
ومتأط فغري وارباد نباق
متأ في الاطواق في الاعناق

وختمها بقوله :

رزة أصيب به العراق فأرخوا رزة العراق يموت عبد الباقي (١٢٧٨)

وقال مودعاً بعض الكرام اسه يوسف :

ولاي قد حان الوداع
كم زرت حضرة لك التي
ورجعت عنك بنائل
واقه يالم انتي
يا مفرداً في مصره
يا يوسف البدر الذي
ما لي بغيرك حاجة
وسراك يا ولاي لا
ما كل رزاد ينو
٧ زلت اهدل للجبل مدى الليالي والشهور
وقد عزمت على المسير
ما زلت منها في حور
غرب وبالمعبر الكثير
عن شكر افضلك في قصور
بالفضل معدوم النظير
يسر على البدر المميز
كفني الخطير عن المميز
واشهر ينظر في ضبري
رُ بمررد الذنب السمير
زلت اهدل للجبل مدى الليالي والشهور

وبما لم نجد في ديوانه تحسيساً لآيات قالها عبد الباقي العمري في قاضٍ جائرة :

ألا قطع الرحمن كل مقاطع
وراضٍ بظلم طامع غير قانع
على انه بالسند اتطمع من ماضٍ
فكم قد جنى في حكمه من جناية
فلا رد قاضي ما اهدى لهداية
من الخزي لا يحظى جا ابداً قاضٍ
بلينا بقاضي جائر غير عادل
ومن اعظم البلى بلاه يامل
وقالوا بقص الحق قلت بمتراس

(الحاج عمر الانسي) ولا كانت مصر تفتخر بطهطاويها والعراق باخوسها كانت بيروت تأنس بانسيها الحاج عمر سليل اسرة شريفة لشهر لقبها بالصقمان . ولد الانسي سنة ١٢٣٧ (١٨٢٢ م) في بيروت واخذ العلوم من الشيخين محمد الحوت ومجد الله خالد وقد قلده الحكومة السنية طئة مناصب كمنظارة النفوس في لبنان وعضوية مجلس ادارة بيروت ومديرية حيفا ونيابة صور وقاع التريز تقلب فيها كلها واطهر فيها دراية وعفة نفس وطورا همة . وكانت وفاته في وطنه سنة ١٢٩٣ (١٨٧٦ م) .
وقد وصفه من عرفه بحسن الشعر وانس المحضر والصدق والاستقامة . وكان فصيح اللفظ طلق اللسان حسن النظم وله مصنفات منها ديوان شعره الموسوم بالمورد العذب طبع في بيروت سنة ١٣١٣ (١٨٩٥ م) بهيئة مجلة السيد عبد الرحمن افندي . وقد كان بينه وبين الشيخ تاصيف اليازجي مكاتبات . ومما مدحه به الشيخ قوله من ايات :

واذا اردت قصيدة نبه لها عمرا ونم
الشاعر العربي ذو السفر التي سببت المعجم
في المكرمات له يد والى الصواب له قدم
وله شاف لا تنال كائننا مبدأ الحرم

وهذه نبذة من اقوال الحاج عمر . قال في التقى :

عليك بقوى الله والصدق انما نجاة التقى يا صاح بالصدق والتقى
وقس حال ابتداء الزمان بضد تر الفرق ما بين السادة والشقا

وقال في الزهد :

رغبت من الدنيا وزخرف اهلها قلت لنفي انما البش في الأخرى
فهمي وزهدي في الخطام فاني ارى الزهد في الدنيا هو الراحة الكبرى

ومن ظريف هجوه ما قاله في غلام قهوجي يدعى هلالا :

تمس الهلال القهوجي لأنه قد قطع الاتقان من اتقان
هذا الهلال هو الهلاك وانما غلطوا قلم يضعوا الهما في داس

وقال يهجو ثقيلا كان لا يزال يذكر ذنوبه :

شكا ثقل الذنوب لنا ثقل فك له اسع لبدع قبي
ثلاث بالتائب فك خصت فلم توجد بشرك من ميل
ذنوبك مثل روحك ضمن جسم ثقيلي في ثقل في ثقل

ومن رثائه قوله في مارون النقاش لما توفي في طرسوس سنة ١٢٧١ من ابيات:

فقدنا اديباً كان طرس براعي	اذا خطّ سطرًا نال من خطّ شطرا
اخاشبه قد اعجزت عن مديهما	لاني فاسي لا يطبق لما شكرا
وما كنت يا مارون قبلك زاعماً	بان الثرى من اعيني يحجب البدا...
فكم لك في الاداب لطف شائل	اذا ما نشرنا ذكرهما تهت نشرنا
وكم لك من ابيات شعر حريّة	جا أن نحاي جيداً النادة المذرا
ألا يا بني النقاش لا يمزقكم	بكاً وسع الاجفان اوشيق الصدا
أرى الدهر لا قسم الحزن خشنا	بسمه اعشار وحملكم مشرا...
فأسف لو كان السأسف نائداً	عليه ولكنّ النساء له احرى (له بقية)

حياة فوق سرير

تدريب احد طلبة كليتنا

قرانا في مجلة افرنسية الخبر الآتي بقلم رُحالة افونسي يدعى هنري كوسان دخل الهند في السنة ١٨٨٩ وتجول فيها مدة مع قرينته مرغريت وولديه جورج وعمره سبع سنين وحنة التي لم يتجاوز سنّها تسعة لشهر

قال وصلنا بعد سفر طويل الى مدراس ثم توغلنا في البلاد الداخلية حتى بلغنا قرية تدعى متاني يكنها الهنود وفيها المزارع والغابات وكان السفر قد انهك قوانا فطلبت اليّ امرأتى مرغريت أن تقضى هناك اسبوعاً لتشتد قوانا فواصل بهما طريقيّنا. فاستحسنّت رأيها ودخلنا بستاناً فطلبنا من صاحبه ان يفرّد لنا قسماً من يته فأدري اليه اياماً وتدفع له اجرة فعرض علينا بيتاً صغيراً مجاوراً لبستانه تكتنفه حديقة فيها كثير من اشجار الهند الباسقة ورضي بان نبيت فيه ما شئنا لا يزعبنا في المكان غريب. فبقينا بالسكنى واحتلنا الدار

فبقينا هناك ثلاثة ايام في العزلة والانفراد لكنّا كنّا نسمع اصوات الهنود المزجة فنظنّ أنّهم يريدون لنا سوءاً فبقى في حذر منهم. ومع خوفنا من اذاهم كنّا متمتعين بسعادة ناتجة عن السكينة وجودة الصحة مع سهولة حصولنا في الحديقة على ما يسدّ احتياجنا للمعاش من بقول وخضر وانما جنيّة. وكنا نقضي ساعات النهار في الحديقة

نستظل تحت اشجارها ونقتل بياها ونمجي لقارها فنشم ارواحنا وتثوب قوائا
 فني مصر اليوم الحامس اذ كنت ادور في البستان وعلى كفي بندقيّة لأقصّد
 بض الطيور الجائمة على اثنان الشجر ومرغيت جالسة على طرف الحديقة وبازائها سرير
 كانت ابنتا الصغيرة قائمة فيه وجورج يدورين الزهور ويجمع منها طاقة لهديسا أمه
 اذ سمعت فجأة لمرآتي تدعوني اليها بصوت مرتجف يدلّ على انها مصابة بهول هائل
 فالتفت اليها وقد احاق بي الرجس والاضطراب. فرايتها قد امتقع لونها وهي تمذّ اليّ يديها
 كأنها تطلب النجدة. فدنوت منها وطرحت عني البندقيّة لاسندها بذراعي. فاطبقت
 عينيها وارتمت اعضاؤها ثم اغني عليها فسقطت على الحضيض

فقلب على ظني في أوّل الامر انّ قوماً من المتود دخلوا المنزل قصد النهب
 والسرقة او عدواً استخفى في الحديقة بنية الاذى وكانت الافكار تتاوّبني وتريدني
 همّاً وغماً. لكنني تجلّدت وسكّنت هواجسي وزجرت نفسي على خورهما ثم اخذت
 انظر الى ما حولي فلم اشعر بشي. مكثت. وكان ابني جورج مهتماً بتنظيم طاقة زهوره
 وكان كلبنا دوج قائماً عند باب البيت لا يرجس حراكاً. فبقيت متحيراً في امري ومارأيت
 لا تزال مفشياً عليها فاسرعت الى ما هو اهمّ وخطر وجئت بشي. من الماء فنفخت به
 وجهها ففتحت عينيها ونظرت الى جهة مهد ابنتها فساد عليها الاضطراب ثانية وصرخت
 بصوت منقطع كاد الجوع يخنقه: انظر مهد ابنتا... حية. فهدّمت الى ناحية السرير
 وكان يسته عن نظري شجيرات ملتفة حوله. واذا بمنظر كاد يجمد له دمي في عروقي.
 رأيت حية طويلة سوداء اللون في ضخم الساعد قد التف قسمها الاسفل على قوائم
 السرير وارتفع قسمها الآخر على مهد الفتاة فاسندت راسها الى صدر حنة وكانت
 هذه مكشوفة الوجه معلقة اليدين غائصة في نومها الهادي. وكذلك الحية ما كانت
 تبدي حراكاً كأنها توسدت الفتاة واتخذت جسمها الناعم كفرش وثير

فحدثت غماً جرى بي من الهواجس لدى هذا المرأى ولا حرج فصرّت كمن أصيب
 بمن في عقله قفّ شعر رأسي وارتمت فراضي وسال على جيني عرق بارد فكذت
 اغيب عن الصواب. الا اني نظرت امرأتي قامت واقتربت مني وقد اخذ منها الملع كل
 مأخذ فخنقت ان تتأثر باضطرابي فيزيد جزعها. فاشترت اليها أن: قني في مكانك ولا
 تتحركي. فاطاعت امري

فبقيت اتمرس في هذا النظر المخيف وفي مرقف ابنتي الحرج وقات في قسي :
يا لله كيف تنجو الفتاة من ثنات هذه الافى الحية فلمها تستيقظ قريباً فتعرك
فتلسها الحية وتودي بجياتها . فكنت انقلب على اخر من جمر القناد . وخطو يسالي عدة
وسائط اتوئل بها خلاص ابنتي لكن في اتخاذها عقبات ومخاطر . فكيف اقتلها دون
ان يثور ثائرها وتؤدي الطفلة كيفا شات وهي رابضة على جسمها . وفكرت في اتا .
حليب اجمله قرباً من المهد تشتم الحية رائحة فتناب اليه وتنجو الفتاة . ولكن انى
الحصول على الحليب في قرية لا اعرف احداً من اهالها وليس تحت يدي خادم ارسله
لاستحضاره مع ميسر الحاجة وقرب الخطر . وكانت كل هذه الافكار تتنازعني
ونظري شاخص الى السرير لا يجيد عنه بل كنت اضبط صوت انفاسي لئلا يبعث
الفتاة او الحية من رقادها

بقيت وارائي على ذلك دقائق حبها اجيالاً ثم اشرت الى مرغريت ان انتبني
بالبنديفة . فأتت بيا مرتبة وابتعدت عن المكان لئلا تنظر ما يضاعف اهوالها فاجت
بابها جرج . فشكرت الله على اتمادها اذ كان قريباً مني يهد عزيمتي ويكسر
عضدي

ثم اغدت راحة ووضعتها في البنديفة ووقفت للجة بالمرصاد لأصيب منها
مقتلاً . فمر علي في هذه الحالة نصف الساعة ذقت فيها المرات الرانكا . وكانت عيناى
تتحولان من الفتاة الى الحية ومن الحية الى الفتاة واعارض سينة ابنتي ودعتها وثغرها
الباسم بشناعة ذلك الحيوان الحيث وويلاته الهلكة . فكانت تلك المقابلة تهيج كل
عواطفى الابوية فأشهر بنفسي كأني مصاب بدوار او لبت في رأسي نشوة الراح
وأنا كذلك اذ رأيت الثامتين قد استنظتا في وقت واحد وسمعت صوت بكاء .
الفتاة فكاد قلبي ينفطر واعدت بندقتي وتربعت في مكاني . فكان الحية شموت
بحركاتي فرفعت راسها وحملت الى بينيها واذاها تتقدان كجسرتي نار وكانت تمد
لسانها الطويل ثم تحطفه بسرعة البق كأنها تتعزز للشر . قتلت في قسي : قد حان وقت
العمل . فصوبت البنديفة نحوها فحطت براسها نحو الفتاة كأنها تفتك بيا فتخب قلبي
واستطير لي واصاب يدي نوع من الشلل وخفت ان اطلقت البنديفة أن اقتل ابنتي
بدلاً من الحية او معها

اما حنة الصنيعة فاني لم تدرك ما احدث بها من المخاطر فرفمت يديها الصغيرتين الى الحية كأنها تريد ان تلاعها فلم اتمالك عند هذا النظر من ان اصرخ: ربي ترحم علي كريمي. فكان هذا الصوت اربع الحية وامال رأسها من الطفلة لتصرف الي غيظها فاخذت تميل رأسها نحو اليمين ونحو الشمال وتصوب الي يمينها وتنفخ بنفثها فعرفت ان الحطب قد اشتد وأنه لا مناص لي واللثة من دهانها فرفمت بنظري الى الله مستمداً منه العون وشمرت كأن قرة كبرائية سرت في ظلامي فصوبت ثانية بندقيتي الى الحية وشدت الزناد واطلقت الرصاص عليها. فانشر الدخان واخضاها والفتاة عن ميني لكنني سمعت بكاء الطفلة وطرق آذاني حفيف الحية - سرعة بين اوراق العشب الى وكرها. فهجمت نحو ابنتي وانا على آخر رمق وسقطت بقرب سريره بين حي وميت. واسرعت امرأتي وابني جورج فركضا الى جهتي. قمت للحال لأرى ما حل بالفتاة فاذا هي صحيحة سالمة فاخذتها وسلمتها الى والدتها التي أهطلت الدموع فرحاً بعد جزعها ويأسها

ثم اخذت اتبع طريق الحية لتلا محذرت بنا سوءا فلم اجد لها اثر الا اني رأيت في اصل شجرة ثقباً قمت لعلها دخلت في هذا الثقب فاطلقت فيه الرصاص. وبعد هنيهة سمعت ابني جورج يصرخ فركضت اليه فوأت ليس بعيداً منه حية ضخمة تتلوى وتسير سيراً بطيئاً لكن علائم السخط تلوح من حركاتها. فلنا رأيتني عرفت عدوها فحاولت ان تثب علي لكن قواها كانت خائرة فلم تستطع ان تلحق في سوءا فشجبت رأسها بطرف بندقيتي. ثم قتها واذا بطولها خمس اذرع بنيف وهي من جنس الحيات الحبيثة التي تهلك في المندمين من السكان. ولم تشأ امرأتي ان تبقى في ذلك المكان الى آخر الاسبوع بل رغبت الي ان تبعد عنه سريعاً فخرجنا مواصلين لسفراً



الالفاظ السحرية

نظر للأب لويس شيخو البوسعي

أن من الالفاظ لسحراً اقد اعتاد البشر في كل اجيالهم أن يستقروا تحت حجاب بعض الالفاظ جواهر من المعاني فلا يكاد يسمها السامع حتى تثير في قلبه عواطف متباينة واهواء متناقضة تعمل فيه عمل الكهرباء في اهتزاز الاجسام والبعق في اخذطاف الابصار. وليس أمة من الامم الا اختارت لها بعض هذه الالفاظ اتخذتها كشار يُعرف به ابناؤها او كلواذ يستظل تحت طيآته اصحابها. وترى على خلاف ذلك كلمات تود الامم ان تنفيها من معاجها فاذا ما طرقت آذان مبغضها بعثت فيها الحقد واثارت في قلوبهم الشحنة. واصبحت كالشرارة في البارود تلهب التهاماً

على أن كثيراً من هذه الالفاظ ثماً يخدع به الجمهور لاختلاف باطنه عن ظاهره او بالحري لتباين اوصافه فهو كلني قلمون « على كل لون يكون » او كالدينار الحريزي اصفر ذي وجهين ككلافير بيدو بومنين لين الرادق

فرب ككسة من هذا الصنف تسر بها ذوو النايات فأضروا الشر في شبهة الخير ودسوا السم في الدسم. والتاريخ مشحون بذكر الحروب والحفصامات التي انقضت بسبب هذه الالفاظ الخداعة. واليوم منذ أطلق العنان للخطباء وعادت الجرائد الى استقلالها قد توقفت هذه الكلمات فلا تسمع خطاباً الا تتكرر فيه مثل هذه الالفاظ ولا تقرأ فصلاً لم تنته هذه الكلمات السحرية. على أن العاقل لا يتنع بالشبهات كما أن الصراف ينتقد الدراهم لتلا يبدل الصحيح منها بالزائف. ومن ثم رأينا ان نفرد لبعض هذه الالفاظ المشبهة فصولاً لتبهرها بغيار العقل ونعرضها على محك الانتقاد فنعرف معانيها الصوابية ونبتذس مفهومها. عملاً بتعليم الرسول المصطفى الذي حرّض مراراً تلميذيه تيطس وتيموثاوس بان يلازما الكلام الصادق الصحيح (تيطس ٢: ١٠ تيموثاوس ١: ١٣) ويحتبا الكلام العالمي اللطيف (١ تيموثاوس ٢: ١٦) وامرهما ان يناشدا المؤمنين امام الرب أن لا يتساحكوا بالكلام (١: ١٦) ارشدنا الله الى كل صواب ويقين

١ الحرية

كثا أمس لا تتجاسر بلفظ اسم الحرية واذا ورد اسمها في كتابة بل في اثر قديم اضطرنا المراقب ساعه الله بالضرب على انكسلة فتحتار في امرنا ولا ندرى باية لقطة ندمدها . فكم اختلف اليوم عن الامس وهاك الحرية اصبحت الان سلافة المصوم وكثر الجمهور كاد يعرفها الصغير قبل التيجي باسم والديه وينتشي ريجها الشاب فيكر من غيرها ويرثها الشيخ فيورد الى شبابه . هي الشعار الذي يعلو حديقة مدينتنا وبه دُعيت حديقة الحرية . وهي التعلب الذي تدور على عوره كل افكار القوم فن اين يا ترى الحرية هذه القوة افعليها مبني كل - مادة الانسان ادهي الخير الاعظم الذي ليس وراءه خير فتتفي كل الشدائد وتشتي كل الواجه . او ليس وراء هذا النظر الوسم غبر وخيم . ولعل اصحاب الغايات لا ينادون بالحرية الا لترويج اغراضهم الشخصية وامتنان كل من لا يواقيهم على مآربهم فيترقون خصومهم بحجة الحرية وتصبح الحرية آلة الاستعباد

يعلم الله اننا لسنا ممن يشأ الحرية . ولو فمانا لأتينا بذلك اثما فظيما في حق الخالق ونكرنا آيات الكتب المنزلة وناقضنا تعاليم الكنيسة لابل اقترطنا جرما بارزا . الطبيعة والعقل السليم

من المعلوم ان الله خلق الانسان على شبه صورته اعني الله خصه بالعقل والتمييز ليدرك الامر ويفرز بين خيرا وشرا . لكن هذه الهبة الشريفة لا تباع كمالها الا بحرية الارادة بحيث تتنزه الارادة البشرية ايس فقط عن كل اقتدار خارجي يضطرها بل عن كل دافع باطني يضطرها في اعمالها اضطرارا ما يتزع عنها ميلها الى اختيار ما تشاء . فالحرية اذا من اعظم مراهب الخلق للطبيعة البشرية الناطقة

وزد على ذلك ان الله تعالى ما انجز خلق الابرار الاولين حتى اوصاهم بطاعته وقضى عليها بامر لازب تدمدها بالكتاب ان تجاوزاه ولولا حريتهما في اقام سنته تعالى اوتدخا لكان حكمه جائرا وعقابه لهما بد خطيتهما ظلما اذ يكون اوصاهم بما لا مناص لهما عن فعله . والقول بذلك كفر محض . وكذا يقال عن وصاياه تعالى لبني اسرائيل لا

بل عن كل السن الطبيعية التي يرفها البشر كافة بجرء نور عتامهم . فانها لا تقع تحت طائل الجزاء . والبواب ألا على اقتراض حرية الانسان

وقد صرح الرب بما منحه من الحرية للبشر في كلامه الى قاين لما سقط وجهه وحده انما يقول تقدمته (تكوين ٤: ٥-٧) فقال له الرب : « لم شق عليك ولم سقط وجهك ألا انك ان احسنت ننال وان لم تحسن فعند الباب خطية رابضة واليك اقتياد لسواتها وانت تسود عليها . » فهذه الآية تبين علانية ان بواعث الخطيئة في الانسان متادة الى امره يكتبه ان يرد عليها كما يستطيع ان يحسن بعمله فينال عنه الجزاء .

وفي الكتاب آيات عديدة تثبت هذه الحرية ففي تشية الاشتراع (٣: ١١-١٨) يعلن الله شعبه ان رسمه التي فرضها عليه ليست بعيدة منه او صعبة النال لا في السماء ولا وراء البحار ثم يردف قائلاً : « بل الكلمة قريبة منك جداً في فيك وفي قلبك فتعمل بها . انظر . قد جعلت اليوم بين يديك الحياة والخير والموت والشر . . . فان حفظت وصايا ربك تحيا . . . وان زاغ قلبك تهلك هلاكاً . » ومثل هذا في الاسفار المقدسة كثير . ومن اصرح . ما ورد في ذلك قوله تعالى في سفر ابن سيراخ (١٥: ١٦-١٧) : الرب صنع الانسان في البدء وتركه في يد اختياره و اضاف الى ذلك وصايا وادامه فان شئت حفظت الرصايا ووفيت مرضاته . وعرض لك النار والماء . تشد يدك الى ما شئت . الحياة والموت امام الانسان فما اعجبه يعطى له « وهو كلام لا يبغي شبهة في الحرية البشرية . وفي هذا السفر عينه (٣١: ١٠) يقول الله الطوبى للرجل الصالح البار الذي « قدر ان يتعدى فلم يتعد وان يصنع الشر فلم يصنع »

وكما انتهت آيات الكتاب في حرية الانسان فكذلك الكنيسة منذ عهد الرسل الى يومنا لم تزل تدافع عن تلك الحرية على مثال السيد المسيح الذي جعل الدخول الى الحياة الابدية منوطاً بمشئة الانسان بان يحفظ الرصايا (متى ١٩: ١٧) قال القديس اوغسطينوس في شرحه للآيات السابقة : « في هذه النصوص الكتابية شواهد لامة على ان الانسان أعطي حرية الارادة . » وقد نفى في كتابه الى فوستوس كل اقتصار في ارادة الانسان وانكر قول الجبرية - روا . كان بحكم النجوم او بتقدير سابق لمشيئة الله . وفي كتابه الى المانوي فليكس يقول : « لكل اذان في مشيئة استطاعة على ان

يختار الامور الصالحة فيصبح شجرة صالحة او يختار السيئات فيضحي شجرة فاسدة». وقال القديس يوحنا في الذهب لان الكنائس الشرقية في شرح سفر التكوين: «لان الله جعل الخير والشر الفضيلة والرذيلة في حكم الارادة البشرية فذلك يشهد الخطاة بالعذاب ويد الاخيار بالثواب»

ولا يخالف تعليم الجامع معتقد الآباء كني لاثبات القانون الذي وضعه المجمع التريدينيني لردل الاذليل البروتستانتية: «من قال بان حرية الانسان بعد خطيئة آدم قد فقدت وتلفت... فليكن مبسلاً ومحروماً»

ويوافق العقل هذه المقولات اذ يبين صريحاً ان الحرية من اخص هبات الله للحي الناطق وان بدونها لا تقوم الشرائع ولا تثبت الهيئة الاجتماعية. فليت شعري كيف يأمر المشرع بصنع الشيء. او ينهي عن العمل به ثم يجازي الخالفين لولا علمه اليقين بان المأمورين قادرين على اتمام امره

ولا تحليل الكلام في بيان هذه القضية مع وضوحها وقد مر في المشرق (٢٧٦: ٧) فصل جليل لاجل فلاسفة النصارى بولس الراهب اسقف صيدا. بسط فيه الكلام عن هذا الموضوع فليراجع

تلك هي الجرمة الكريمة وذلك هو الكثر الشين الذي خص به الخالق كل عاقل ليفوز بغايته القدوى. وكما انه تعالى منح الافراد تلك الهبة السامية اراد ايضاً ان تزدان بها الاجتماعات البشرية فتسمى وراء ما يلائم غيرها ويزيد في عمرانها وتضم قواعداً في تعزيز جانبها وادراك غايتها وتفي كل ما يضر بها والجماع. فحرية الشعوب ملازمة لحرية الافراد. ونحن للامم ان تدافع عن حرمة حريتها المدنية والسياسية كما يجدر بالافراد ان يجمعوا ذمار حريتهم ويذبوا عن حقيقتها

*

فهيئات اذن ان تنكر الحرية او نبض من حقوقها ونحن ابنا. تلك الكنيسة التي قامت في وجه العالم الوثني لابطال رق العبودية وتفي ذلك العار العظيم الذي شره وجه الانسانية مدة ثيف وثلاثة آلاف سنة حتى كان القم الاكبر من البشر اضحى مستعبداً لمن كانوا يدعون وحدهم باحرار. وقد وضع الرسول منذ اول النصرانية مبادئ المساواة والاخاء بين كل ابنا. الايمان حيث قال (غلاطية ٣: ٢٨) : « ليس

يهودي ولا يوناني ليس عبد ولا حر... لا تكلم جميعاً واحداً في المسيح يسوع". وقال (كولي ٣: ١١): "والبسوا الانسان الجديد الذي يتجدد للمعرفة على صورة خالقه حيث ليس يوناني ولا يهودي ولا ختان ولا قلف ولا اعجمي ولا اسكوتي ولا عبد ولا حر بل المسيح هو كل شيء وفي الجميع"

ولكن قل لي تأشدتك الله أفيلزم من كون الانسان حراً ان تسوغ له هذه الحرية ان يفعل ما بدا له ويتفوه بكل ما خطر على باله ولا يسترض له احد في حركاته وسكناته مها كانت اعماله ذميمة شأن البهائم المجاه. وضواري الباع التي لا يردعها رادع في حملاتها وشأن الليل الرحاف الذي يندفع من عل فلا يقوم في وجهه حاجز ويأتي بالمعاطب والممالك. كلأثم كلاً فان الذي يفهم على هذه الصودة معنى الحرية لقي غلط مبين

ثبت لك مما مر ان الحرية في الانسان هي قوة في ارادته بها يستطيع ان يتبذل على عمل او يمتنع عنه وان يقدم على اسر او خلافة ويختار بين الخيرات ما شاء اختياره. لكن الارادة في الانسان قوة عمياء تميل به الى اشياء مختلفة يمكنها ان تضره ولا تنفعه فاذا تهاقت اليها دون رؤية وادراك ربما عثرت بما فيه هلاكها وسقطت في سواتر لا نجاة لها منها على مثال الاعى الذي يسقط في الحفرة. فلا بد اذن للارادة البشرية من دليل يقودها ومرشد يتقدمها وهذا الدليل هو راند العقل جعله الله في الانسان بمثابة الصباح ليستضي به قبل ان يترك ارادته تتسارع الى ما فيه عطفه

تري ان ارادة الانسان مقيدة بالعقل خاضعة لحكمه ومن ثم يجب ايضاً القول بان حرية المرء مقيدة اذ الحرية من صفات الارادة الجوهريّة ومتى خالفت الارادة حكم العقل واستعملت حرية اختيارها في طلب شهواتها بمنزل عنه تعدت طورها وانفست حريتها كما لو اتخذ المرء سلاحاً وضع للدفاع وقتل العدو ليقتل به نفسه او يهلك بعض اصدقائه وذلك سوء استعمال الحرية الذي ليس هو في الانسان من الكمالات بل هو قصور وخلل متعلق بمشينة المرء ما دام في هذه الحياة. فان استسلمت الارادة لهذا النقص تلت عن رقبته وتلطخت بالاثم. ومن اتعرف الاثم فقد الحرية وفقاً لقول السيد المسيح لليهود (يو ٨: ٣٤): "لن من يعمل الخطيئة هو عبد للخطيئة"

فان كان الامر كذلك ولا بد للارادة من استشارة العقل قبل استعمال حريتها

لثلاث تهوّر في لجة الائم وقمع تحت رق العبودية فذنا نستفي العقل عن تخوم الارادة ونستعلمه عن حدود الحرية فلا بدع انه يفيدنا عن الامر ويبين لنا جلياً الى اين تبلغ الارادة ومتى يجوز لها بان تطلق طريقتها العمل دون ان يلحق بها الائم اول ما يحكم به العقل ان الانسان مخلوق وله خالق يتولى امره ويطالبه باعماله ليثبه على حسناته او يقتصر منه لسناته. فمن هذا الوجه تستبد حرية المخلوق وتترتب عليه واجبات لبارئه لا مناص له منها فيعبده تعالى ويستمح وصاياه وينقاد لوجهه اذا ثبت الوحي لانيانه. فان استعمل الانسان حريته لكابرة الحق وخالفه سلطانه الاعلى سبحانه وتعالى اجتنبى اثماً وصارت له حريته وبالاً

ثم يفيدنا العقل اذا طلبنا مشورته ان الانسان خالق لينظم في سلك الهيئة الاجتماعية فيكون عضواً من اعضاء ذلك المجتمع الادبي. وبما ان المجتمع البشري يتألف من رؤساء ومروسين ومن امراء ومأمورين فيأزم كل انسان ان يحفظ سن ذلك الجسم العظيم ولا يتعدى شرائع العمران البشري فيقوم براجبات مقامه في بيته اولاً من حيث هو صاحب عائلة او هو مولود او مستخدم. ثم في وطنه في اي منصب كان فيعيش على مقتضى واجبات الملك اذا كان ملكاً والملك اذا كان مملوكاً متسماً لفرائض مهنة ووظيفته قائماً بشرائع بلاده والتقيات الموضوعة بالحكمة البشرية. والمفروضة من اصحاب الامر الشرعيين على حسب النظام المدني ووفقاً للشريعة الازلية التي كتبها الله في القلوب لان كل سلطة من الله كما يعلمنا الرسول وكل من يقاوم السلطان انما يماند ترتيب الله (ورمية ١٣: ١)

ثم يرشدنا العقل ايضاً الى اكرام الذين يضبطون السلطة حتى ان الرسول (١ ف ٦: ٥) يطالب من الطاعة للسادة الجديدين كطاعتهم للمسيح. وان كان يحق على الانسان الطاعة لاسطان المدني فكهم بالحري ينبغي له الخضوع للسلطان الديني الذي يمثل السلطة الالهية على نوع اخص وهو اجدر بان يسئ ظل الله على الارض. وكل هذه الراجبات يعق عليها الانسان بمشارورة عقله فتتبد حريته من كل هذه الوجوه

ويكشف لنا العقل الصائب بان حريتنا مقيدة ايضاً بازاء تربيانا فان كل البشر قد وهبوا الحرية مثلنا فلا يجوز لنا ان نحصر حريتهم او نذبحها طمعاً في توسيع حريتنا اذ يبين لنا العقل هذا المبدأ الاولي: لا تفعل بغيرك ما لم تشاء ان يفعل بك غيرك

فكل هذه الحقائق وغيرها مما يقادى الى العقل بديها عند البصر والتفكير تثبت علانية بان الحرية الانسانية لا تتناول غير امور مطلومة لا تخرج عن دائرة الشريعة الصمدانية والشرائع البشرية المبينة على تلك الشريعة العليا الازلية . اما الحريات التي تمنحها بعض الدول او تجاهر بها دساتير بعض الامم كحرية الفكر وحرية القول وحرية الاديان وحرية المطابع فانها كلها لاحقة بالمبادئ التي سبق ذكرها والتي يقضي بصوابها العقل السليم فان خالفت تلك المبادئ اقبلت فوائدها الى مضرات ويلة واستحقت ان تدعى استرقاقاً وعبودية بدلاً من الحرية وليس لدولة سلطان او دستور ان يتسامح بها اذ لا تقوى شريعة بشرية على شريعة الله

فخذ مثلاً حرية القول . فيجوز بعد منح الدستور ان يتشدد كل مزارع يدور في خلد فيطمن زيداً ويكشف عيوب عمر و يستخف بالسلطان ويتعد على اصحاب الامر دون سبب كافٍ ويسلق بلسانه الحاد ارباب الدين ويطوى الخلدن الى اثاره الفتن كأن الفية والسمية والافتراء وثلب الاعراض لم تعد من الجرائم التي يُأَل عنها الانسان وكأن الدستور انى من جملة المحظورات اكرام السلطان واعتبار ممثلي الدولة وتوقير خدمة الدين والطاعة لاورامهم في ضمن دائرة سلطتهم . لا لعري ان الدستور لم يبلغ شيئاً من ذلك ولم يمكنه الغاؤه . بها شاء . لأن ذلك ليس بوسع ولا سلطة بشر

وما قلناه عن حرية القول يُقال ايضاً عن حرية المطابع فان لاصحاب المطابع ان ينشروا كل ما فيه فائدة للجمهور وللخير العام او الخاص على شرط ان يزعموا المبادئ المذكورة فلا يחדشوا في شي . وجه الآداب ولا يبخسوا حقوق الدين ولا يمتنوا السلطة الحاكمة فان وجدوا في ارباب الحكم ظالماً او قصوراً تنهوا اليه بما امكنهم من الاعتدال او دفعوا الامر الى المراجع العليا ليصلح . اما رؤساء الدين فان مقامهم يستدعي اعتباراً اعظم لانهم آباؤنا الروحانيون فيفوقون على آباء الطبيعة كما تفوق الروح على الجسد واذا لا يجوز للولد الطبيعي ان ينتهك حرمة والده فيستحق لعنة كتمان فكذلك يجني جناية عظيمة الكاتب النصراني الذي يندد برؤسائه الروحانيين ويبخس من قدرهم وينكر لهم الطاعة وبذلك يصي الله نفسه الذي قال (لوقا ١٠ : ١٦) ان السامع منهم يسمع منه تعالى والذي يحترقهم يحترقه . وهو الذي اوصى بنغل

ما يقوله الكتبة والفريسيون رغماً عن سوء أعمالهم لانهم جالسون على كرسي موسى
(متى ٢٣: ٢)

اما حرية الفكر وحرية الاديان فلا يراد بها ان للانسان ان يطلق لافكاره
العنان فينوي الكفر والزندقة والاحلاد او انه يسرع له بان يتبع اي دين شاء دون
تور حتى الشرك وعبادة الاصنام والمجوسية وانما المقصود بها ان الحكومة تقتصر
ههنا بالامور المدنية ولا تتداخل بما يختص بذمة الانسان ودينه وانما تحمي ذوي الاديان
على سواء تاركة لهم المسؤولية في تدبيرهم سواء كان هذا الدين باطلا او مستقيماً على
شرط ان كلاً منهم يلزم دينه دون مناداة دين غيره وإن رأى ان دينه ليس بالدين
الصحيح فلا تتعرض له السلطة المدنية ان ابدله بعد النقص والتفتيش بدين آخر يراه
الدين اليقين

فهذه هي الحرية الصحيحة المبنية على شهادة العقل وعلى المبادئ الثابتة والاساس
المتين وكل ما يقوض هذه الاركان انما هو مكر وخداع ليس له من الحرية غير اسباب
وزيها دون جسد حقيقتهما بل قل ان ذلك استعباد ورق على مثال اولئك الذين
بكتهم الروح القدس على لسان اشعيا النبي قائلًا (١٠ : ٥ - ١٢) : « الويل للذين
يجردون الائم بجبال الباطل . . . الجاعلين الظلمة نوراً والنور ظلمة الجاعلين المرء حلواً
والخار مرءاً . . . فهذا الويل يحل بلا شك بأولئك المتشكين الذين لا يرون في منح الحرية
الأجلاً خلع العذار وترويج اهرامهم الباطلة وتنكيس كل من يتجاسر على مقاومة
جموحهم وقحتهم . اما الحرية فهي تبرأ منهم وتصدهم من الداء اعدائهم لانهم يرتكبون
كل محذور ومحرور وينسبون ذلك الى الحرية كاذبين

يروى تاريخ فرنسا عن امرأة شهيرة تدعى مدام رولان (M^{me} Rolland) انها
لبت في أيام الثورة الفرنسية دوراً هاماً وكانت من اشد انصار الثائرين تحطت
وتكتب باسم الحرية لتهيج القلوب وتلقي فيها البض والشحناء على ملك فرنسا لويس
السادس عشر حتى قتله رعاياه ثم لم تزل مدام رولان تجمع في غرائبها وتحرض على
تقويض دعائم السلطة حتى تأمر عليها بعض اصحاب الثورة وقبضوا عليها وحكروا بقطع
رأسها فحلواها الى منقع الدم فلما رأت بساحة من ساحات باريس حيث نصب تمثال
للحرية التفتت اليها صارخة : « يا حرية يا حرية كم وكمن الآثام يرتكبها الناس باسمك »

فيا ليتنا لا نرى قريباً مثل هذه السيئات يجتاحها غرغاة القوم فيفسونها زوراً إلى الحرية. فأنه ليس حرية صهيحة خارجاً عن الدين والآداب وكل حرية سراها جور وخلاعة مها كذب انكاذبون الذين لا يجزهم في ركوب اهرانهم تتى ولا يردهم عن الآثام نهى ولا مرا. انهم سيبحرون يوماً كدما دولانبعديتهم ويورد كيدهم في نحرهم

مطبوعات شرقية جديدة

UNIVERSITÉ SAINT-JOSEPH DE BEYROUTH, MÉLANGES DE LA FACULTÉ ORIENTALE. Beyrouth. Impr. Catholique, 1906-1908, vols I-III. pp. 377, 423 et 477.

طُرف لاساندة المكتب الشرقي في كلية القديس يوسف

هذه المرة الاولى نذكر فيها هذه الطُرف التي هم بنشرها اساندة المكتب الشرقي اللاحق بكليتنا. وليس لكوننا سبب غير ما اسكت الضفدع:

فالت الضفدع قولا فسرته المكا

في في ماء ومل ينسطق من في نيو ١١.

هذه الطُرف عبارة عن ثلاثة مجلدات كبيرة الحجم تحتوي ٢٥ مقالة في العلوم الشرقية كالتاريخ الديني والمدني والجغرافية والآثار والماديات والابحاث اللغوية في العبرانية والتبعية والعربية وغير ذلك من المواضيع الخطيرة التي يرتاح اليها العلماء. لاسيما في الاقطار الغربية وكلهم قد تلقوها بالترحاب واخذوا على اصحابها. ولا نشك في ان اهل بلادنا يقبلون عليها ايضاً اذا ما اطلعوا على مضامينها النفيسة لمعرفة احوال الشرق وعاداته. وهذا جدول مقالات الجزء الاخير ندوته هنا كئال على ابحاث هذه الطُرف: ١ كتاب التزم لابي عبيد. نشره الاب يوسيف اليسوعي ٢ مباحث في تاريخ خلافة ملوية (تابع) للاب ه. لامنس. ٣ والي فينيقية الروماني ايليرس ستاتوتس من السنة ٢٩٣ الى ٣٠٥. للاب ل. جلبرت. ٤ ملحوظات لغوية في اللغة العبرانية للاب يواس جرون. ٥ الزامير ذات الادوار. للاب ه. ديمان. ٦ سياحة الدكتور ب. مررتس في جهات عيون موسى وبلاد العرب (مصر). ٧ كتابات يوفانية ولايتية في آسية الصغرى (بنطس والقبادوق وقيليقية). للابوين

جرفانيزون وجلابرت اليسوعيين. وكل هذه المطالعات مكتوبة على الطريقة العلمية الجارية بين كبار الكتبة مع تعليقات وشروح وتفسير تجعلها في حجة التأليف المتكررة التي لا يسمع العلماء جهلها أو الاضرار عنها. ومعظمها في. واضع لم يسبق المؤلفين أحد إلى البحث فيها. مثال ذلك اكتشاف الأب جلابرت لوالد روماني مجهول تولّى الامر على عهد القيصرية ديوقليانوس ومكسيانوس وقسطس استناداً إلى كتابتين جديدتين. وكذا قلّ عن بقية المطالعات التي في هذا القسم بل في الاقسام الثلاثة كلها كما اقرّ به العلماء الذين قرّطوا هذا الجروع م. شان

ETUDES SUR LE RÈGNE DU CALIFE OMAIYADE MO'AWIA 1^{er}, par le P. H. Lammens s. j., Beyrouth. Impr. Catholique, 1908, pp. 448+XXXII.

باحث تاريخية في خلافة معاوية

ليس بعد عمر بن الخطاب رجل كماوية وطّد اركان الخلافة ومثل في شخصه صفات ملوك العرب. فليان الامر كان حضرة الاب هنري لامنس ألقى في المكتبة الشرقي خطاباً متوالية حضرها ادياب. بيروت بكل رغبة. ثمّ عن الخطيب ان يجمع تلك الدروس في نشرها في طرّف المكتبة الشرقي السابق ذكرها فظهرت في اجزائها الثلاثة الاولى. ثمّ طبعت على حدة في كتاب ضخّم تبلغ صفحاته ٤٤٨ ما خلا فهرسه الواسع. وهذا التأليف اوسع وادقّ ما كتب الى يومنا عن أوّل خلفاء بني امية وقد استعان الكاتب الفاخر في تأليفه بتواريخ عديدة طبع قسم منها والقسم الآخر لا يزال مخطوطاً وفي ذيل الصفحات الاسانيد التي ركن اليها لاثبات آرائه الجديدة المستطرفة في تعريف ذلك الامام الجليل ووصف اخلاقه وآدابه وسياسة مع اهله ومواطنيه من المسلمين والرعايا. وهذا الكتاب يستحقّ ان يُنقل الى العربية ولعلنا نعرف منه بعض فصوله تنويراً بفوائده وفضل مؤلفه ل. ش

Dialoghi Italiani Arabi per il padre Ambr. Iammin Sceabati. Beyrouth. Tip. Cath., 1908, pp. 400.

مطالعات ايطالية عربية للقس امبروسيوس يمين الشابي (المطبعة الكاثوليكية في بيروت

سنة ١٩٠٨ ص ٤٠٠)

كان للغة الايطالية في بلادنا مقام رفيع قبل انتشار اللغة الافرنجية وهي لم تفقد الان مع ذلك اهميتها لنفوذ ايطاليا في الشرق ولاحتياج التجار اليها في معاملاتهم وهذا

الكتاب يحتوي من التمارين والمخاطبات وجداول المفردات ما يضمن للطالبة تعلم اللغة الايطاليانية بوقت قريب على شرط ان يكون الدارس قدّم عليه درس صرف اللغة ونحوها . وقد تفنّن صاحب التأليف بوضع هذه المخاطبات فاودعها كثيراً من المباحث التي تدور بين الناس في كل ظروف الحياة حتى اصبح ثاقفاً للكبار فضلاً عن احدث المدارس . والكتاب مطبوع بحرف جميل وعلى ورق صفيق نحسّ بحبي اللغة الايطاليانية من اهل الوطن على اقتنائه

ل. ش

L'etit résumé d'histoire à l'usage des écoles d'Orient par J. Méchélan. HISTOIRE DE LA GRÈCE. 1^{re} partie, Zehlé. 1907, pp. 60.

مختصر تاريخ اليونان بالفرنسية

طبع هذا الكتاب بالفرنسية في مطبعة المدرسة الشرقية في زحلة وهو يحتوي بالسؤال والجواب خلاصة التاريخ اليوناني في احدى عشر فصلاً منذ نشأة الدول اليونانية الى أيام المسيح . وهو مختصر مفيد للمدارس الابتدائية فقط

ل. ش

العبادة الحقيقية لمريم البتول الام الالهية

تأليف الطرباوي لويس دي مونتور . عربية الاب ادوار سلازاني اليسوعي

طبع في بيروت بال مطبعة الكاثوليكية سنة ١٩٠٨ (ص ١٧٢)

الطرباوي لويس دي مونتور قديس عظيم وكان بليغ معاً . اشتهر في اعمال فرنسية بقداسته في اواخر القرن السابع عشر واهدى بخطاته الى التربة عدداً لا يحصى من الخطاة . وله عدة تأليف تقوية اناريا المقول والآن القلوب . من جملتها هذا الكتاب في العبادة الى المذراء الطاهرة . فبعد ان عربّ حضرة الاب ادوار سلازاني كتاب القديس القنس دي ليفوري الذي عنوانه « بالطريق المستقيم الى حب يسوع القويم » اراد ان يجعل هذا الكتاب كالحق للكتاب السابق لتلا يفصل الام عن ولدها وقد احسن باختياره لهذا المصنّف الجليل الذي يتضمن في فصول قليلة لباب التمسّد الى مريم البتول مع بيان ضرورة هذه العبادة وصفاتها وفوائدها ومفاعيلها مع الطرائق المرشدة الى ممارستها فشكر حضرة العربّ وطلب من البتول ان تجاوزه خيراً على فوائده وتنفع بكتابه النفوس البارة

ل. ش

تأثري في لورد

للاديب يوسف ابي كرم البرماني (مطبعة الاجتهاد ١٩٠٨ من ٢٨)

كتبنا في احد اعدادنا السابقة فصلاً في لورد وتاريخها وصحابها بنسبة اليوميل الحسيني لظهورها في تلك البلدة المباركة - وقد جرت بعد ذلك خللات عظيمة اهتز لها العالم الكاثوليكي طرباً وكانت الجسوع الوفاء وربوات ومئات الوف تتوالى حائجة الى ذلك المزار الشريف لتنال من نعم سلطنة السماء نصيباً. اما العجائب التي تجترحها صاحبة المكان في كل سنة فقد ضاعفتها في هذا العام نحو البائسين اللتجنين الى حماها فكان لورد اضحت اليوم مستشفى لكل مرضى الخاقين واسعدنا الحظ بان نجتمع بعض الذين حضروا تلك المظاهرات فكانوا كلهم ألسنة ناطقة بفضل العذراء ومعجزاتها التي شاهدوا منها بالعيان عدداً وافراً من عرج وكسحا مشرا وعيان نظروا ومزمنين أيس منهم الاطباء برنوا تماماً - ولم تقدم بلادنا السورية من الزوار الذين ذهبوا الى لورد ورجعوا ليشهدوا بما عاينوا - ولم يكن جناب يوسف افندي ابي كرم بان يؤدي لمواطنيه هذه الشهادة الشفاهية بل احب ان يدونها على صفحات كراسة نشرها بعد رجوعه من لورد وضئها اخبار رحلته الى ذلك المقام الشريف مع العجائب التي جرت فيه - وقد ختمها بقصيدة - طلعها

بلُرْد قد تركت القلب لا بك عيني مودعة رباعا

ولجئتمها بقوله:

سلام من فتي بيني مساناً بلُرْد لا حياة في سراها
ساذكر حننا ما دت حباً واذا كر لُرْد ما هبت صباها

الشاديات: نبذة اولى من التواريخ

نظم حضرة الحوري اسطغان ضره خادم البترون

طبع في المطبعة الشرقية في لبنان (١٩٠٧ من ٢٢)

هي باكرة منظومات حضرة المؤلف ضئها التواريخ الشعرية التي قالها من السنة ١٨٩٥ الى السنة ١٩٠٧ وهي تربي على ستين تاريخاً وقد رفعها لتقديمه اكرام لصاحب السعادة حبيب باشا دي السعد رئيس مجلس ادارة لبنان سابقاً - وكلها من الشعر الرائق

تتضمن نكاحاً ظريفة تريد ما حسناً وتطبع في ذهن القراء الحوادث المشيرة إليها ل. ش

كتاب منهج السلوك في سياسة الملوك

للشيخ عبد الرحمن بن عبد الله (طبع في مطبعة الظاهر بمصر سنة ١٣٢٦ م ١٤٠)

هذا الكتاب من التأليف الأدبية التي وضعت لإرشاد الملوك في تدبير الأمور وحسن السياسة للرعية وطبقات أهل المملكة تسعة حاجباً إلى عشرين باباً في وصف آداب الملوك وشيهم انكريمه وقد اودعه من الحكم والنوادر والمواعظ والحكايات قصاً كبيراً متعاشياً فيه الإيجاز المخل والاطالة المملة. وكنا وددنا لو صدر الكتاب جناب المتولين لطبعه احمد زكي ابي شادي ومحمد رشدي افندي الحخير بمقدمة يفيدانا بها شيئاً عن نسخة الكتاب وهي كما يظهر وحيدة من جنسها ليس منها نسخة ثانية معروفة. ثم يزيدان تعريفاً بالمؤلف فإن اسمه «عبد الرحمن بن عبد الله» لا يجدينا علماً باصله وفضله وبقية اخباره. ويظهر مع ذلك انه من كبار ادباء زمانه ولولاه لما اقدم على رفع كتابه للملك الناصر صلاح الدين بن يوسف الايوبي كما روى في فاتحة تأليفه فإن هذه المقدمة لا غنى عنها اليوم قياماً بحق فن الانتقاد. اما طبع الكتاب فيقتضيه ايضاً بعض التحسين فإن حبره قليل وورقه ليس بحسن وقد بقي في المتن اغلاط لم تصلح ولها كذلك في الاصل فكان ينبغي التنبيه عليه. فن ذلك ما جاء من ايات في خصال الطير

ساعة ديك ثم راف دجاجير وحرة كوكبي وحذرة زاغب

فظن ان «زاغب» تصحيف «ناعب» وهو الغراب كما يظهر من الشرح السابق للآيات. وبمده: «وحملة خنزير وقب غدقر» والحواب: «قلب غضنفر». وقد ورد في الصفحة ٣٥ هذا البيت

قالبر اولي ما اعصمت به ونم حوشا جوانب الصدر

والشطر الثاني مصحف لا يستخرج له معنى. وكذلك قد تصحف مراراً اسم امرأة النعمان في الصفحتين ١٦ و ١٧ فرويت «ممرزة». فهذه الملحوظات لم تنبها هنا

لزاراء بقدر الكتاب ولكن رغبة في تحسين المطبوعات المصرية التي لم تزل في الغالب
ستية قليلة الضبط والاتقان ل. ش

رسائل البلقاء

نشرت في مجلّة المقتبس تباعاً (في المطبعة الطاهر في مصر سنة ١٣٢٦-١٩٠٨ ص ١٠٠)
ان الفاضل صاحب مجلّة المقتبس احد ادياء الاسلام القليلين الذين أولعوا بنشر
آثار كتبة العرب الاقدمين في مصر فلا يخلو عدد من مجلّته دون طريقة منها جازاه الله
عن فقه خيراً وثاب الذين يؤازرونه في هذا العمل الجليل ولا سيما صاحب المصنوع والعالم
الشيخ طاهر الجزائري. ومما نشره تباعاً في المقتبس رسائل وتنف وحكم لكاتبين
مبشرين شرقاً والآداب في زمانها وهما عبدالله بن مقفع وعبد الحميد بن يحيى انكاتب
وكلاهما قد عاش في صدر الاسلام في القرن الثاني منه ويعني اسهما عن اطراء
فضلهما. ثم جمع هذه المنشورات فطبعها على حدة تقريباً لفوائدها وتسهيلاً لمراجعتها.
وباليتها طبع طبعاً اجدر بتحاسنها فتقدم عليها بعض التقديمات لبيان خطورها وتعدّد
بترجمة كاتبها الافضلين ثم يختار لها حرف كبير مشرق محلى ببعض التشكيل. فلا جرم
ان ارباب المدارس يتخذونها كدستور الكتابة ومثال حسن البلاغة. فان شاء الله تزدان
بهذه المحتشات في طبعة ثانية ل. ش

شذرات

مكتبة باريس العمومية هي اقدم مكاتب اوربة بعد مكتبة
رومية الوثائقية. واغناها بالطبوعات التي تبلغ نيفاً و ١,٥٠٠,٠٠٠ كتاب. يقصدها
العلماء من كل البلاد وقد أحصى العام الماضي عدد الذين دخلوا المكتبة فكان ١٩٩,٨٠٣
اعني بمعدل ٥٥٠ في اليوم. اما عدد الكتب التي طليها للمطالعة فبلغ ١١٠,٦٧٩
وذلك فضلاً عن المخطوطات التي طالعوا منها نحو ١٧,٠٠٠
تأليف جديدة في الحسبة مؤلفة من ١٠١:١١١
ذكر الحسبة عند العرب مع تعريف حقيقتها والتأليف التي وضعوها في ذلك ثم وصفنا
كتاباً قديماً للمرحوم فتيد الآداب سليم افندي شحاده نقلنا عنه فصولاً (الشرق ١٠:
١٠٢٩ و ١١: ٥٨٠). ومما افادتنا مؤخراً مجلة المقتبس الغراء اكتشاف بعض المخطوطات

في هذا العدد. وقد قال صاحبها (ص ٥١١ من المجلد الثالث) : « ان العرب ألقوا ما يربي على عشرين كتاباً منها » ولم يذكر اسماها. ثم اردف ان البحث اظفوه باربعة منها وصنفها في ذيل تلك الصنعة وصفاً مختصراً. فنها كتابان دعاهما باسم وبعد « نهاية الرتبة في طاب الحبسة » احدهما لعبد الرحمن الشيزري (وصفناه في المشرق ١٠ : ١٦١) والآخر لم يُجدنا عنه غير كونه مؤلف من اهل القرن الثامن. والكتاب الثالث دعاه بالحبسة وروى انه « لعمر بن محمد بن عرض الشامي من مخطوطات مكتبة احمد تيمور بك من علماء القاهرة وقع في ١٣٤ ورقة من الحجم الوسط . . . تم سنة ١١٧١ » ولا نعلم أين هذا التاريخ. على سنة نسخ او سنة تأليفه كما أننا لم نقف على خواصه وابوابه وعلاقته بالكتابين السابقين. اما الكتاب الرابع فهو الذي نرى عليه صاحب المقتبس كلامه وقال انه « لمحمد بن محمد بن احمد المعروف بابن الاخوة القرشي » ولم يذكر زمانه. ورواية الاسم « بابن الاخوة » افضل من روايتنا « بابن الاحوه » التي تصحفت بها الاسم في نسخة اكفرد. اما اسم الكتاب فلم يذكره في المقتبس وهو مذكور في نسخة اكفرد دعاه كتاب « معالم القرية في احكام الحبسة » وقد قابلنا بين ما نشره المقتبس منه وما نقلناه عن نسخة المرحوم سليم شحاده فاذا بين الكاتبين شبه عظيم في اكثر الابواب اخذتنا الحيرة في توافقهما. فيا ليت كان جناب صاحب المقتبس اوقفنا على سبب هذا التوافق. ولعل احد الكاتبين ناسخ عن الآخر وهو سر لا بد من كشفه.

السئلة الجديده

س سأل من روبة العظمى - حضرة الخوري جرجس السبلاني : اهل معرف الاداراتي
سكتها مريم المذراء مع يوحنا الحبيب بعد صعود ابنها الى السماء في القدس الشريف في اي
دار حل الروح القدس على التلاميذ

دار يوحنا الحبيب والمذراء مريم في القدس - محل - اول الروح القدس على التلاميذ

يم يروي التقليد ان السيدة البتول بعد صعود ابنها عاشت مع يوحنا الحبيب
في القدس الشريف في دار قريبة من الملية الصهيونية. وهذا التقليد قديم مدون في
بعض الكتب غير القانونية ونقاه الآباء كالقديس مودستوس اسقف اورشليم (١٣٤٠)
ويوحنا موسكوس (١٦٠٠) والقديس صفرنيوس (١٦٤١-١٦٣٨) وكثيرون غيرهم
من بعدهم. وفي تلك الدار توفيت المذراء على الرأي المرجح. ومكان هذه الدار

معروف وبه تبرعت الحضرة السلطانية فاهدت الدولة الالمانية واحداه القيصر للامان
الكاثوليك فاقاموا هناك كنيسة جميلة تم بها البندكتيون ١٠٠٠ الدار التي حل بها
الروح القدس على التلاميذ فالملية الصهيونية كما روى القديس لوقا في ١٦٤٠ سال الرسل
(١٣: ١) ومكانها معروف كانت فيه كنيسة قديمة بناها النصراني الاولون واخبر عنها
القديس ايفانيوس ان الملك اديان لم يخرجها سنة ١٣٥٠ لا اخرب اورشليم . وبقي ذكر
هذا المكان محفوظا الى عهدنا

س سألتنا من طرابلس جناب الكاتب البلخ حكمت افندي شريف ان فرد له اسماء الامراء
الصليبيين الذين تولوا الاسر في طرابلس الشام من السنة ١١٠٩ الى ١٢٨٩ مسيحية
اسماء امراء الصليبيين في طرابلس

ج هذه اسماءهم كما وردت في تواريخ الصليبيين الفرنجية : ١ اولهم برتران
ابن الكنت ريموند دي سان جيل وفاق طرابلس ١١٠٩-١١١٢ = ٢ ابنه پيس
١١١٢-١١٣٦ = ٣ ريند الاول ابن پيس ١١٣٦-١١٥٢ = ٤ ريند الثاني
المعروف بالصغير ابنه ١١٥٢-١١٨٢ = ٥ بكره ريند الثالث ١١٨٢-١٢٠٠ =
٦ اخوه بويند الرابع جمع بين امرتي انطاكية وطرابلس ١٢٠١-١٢٣٢ ونازعه في
ملك طرابلس ريند رويان ابن ريند الثالث ١٢٠١-١٢٢٢ = ٧ بويند الخامس امير
انطاكية وطرابلس ابن بويند الرابع ١٢٣٣-١٢٥١ = ٨ ابنه بويند السادس ١٢٥١-
١٢٧٤ = ٩ ابنه بويند السابع ١٢٧٤ الى ١٣ نيسان من السنة ١٢٨٢ وفيها فتح
السلطان قلاوون مدينة طرابلس واخرج منها الفرنج . وكانت وفاة بويند في ١٩ تشرين
الاول من تلك السنة

س رسل الاديب يوسف افندي التلبرني مني انشئت الجمعية الماسونية
تاريخ الجمعية الماسونية

ج يدعي الماسون ان اصل جمعيتهم يرتقي الى ايام سليمان وحيرام ملك صور على
عهد بناء هيكل اورشليم وهي مدعيات خرافية لا سند لها والمعروف ان الماسونية كما
هي اليوم باسرارها ومعاكستها للسلطين الدينية والمدنية ترتقي الى العشر الثاني من
القرن الثامن عشر ومنذ ظهورها قد حذر الاحبار الرومانيون من شرها ونهوا
المؤمنين عن الدخول فيها

ل ش



قداسة

حبر الاحبار ورأس الكنييسة المنظور

ابا يوس العاشر